الدكتور
سعد ابراهيم الأعظمي

من اساليب التغلغل الأجنبي



من اساليب التغلغل الاجنبي

الدكتور
سعد ابراهيم الأعظمي

١٩٨٥

منشورات شركة مطبعة الاديب البغدادية



تقـــــديم

تفتقد المكتبة الأمنية الى الكثير من الدراسات والبحوث الأمنية العلمية الحادة التي تنور عقلية وذهنية العاملين في الأجهزة الأمنية والاستخبارية وتدفع بالعمل الأمني نحو التقدم والوصول الى تحقيق أفضل النتائج بأقل الخسائر . .

ومن الأمور التي تبشر بالتفأول توجه البعض من العاملين في الأجهزة الأمنية توجهاً علمياً في دراساتهم للقضايا الأمنية حيث تمتزج الخبرة العملية بالحصيلة العلمية فتدفع بعجلة العلم والمعرفة في الجهاز الأمني نحو الأمام . .

والموضوع الذي نحن بصدد تقديمه ، «من اساليب التغلغل الاجنبي» ، يعتبر من الدراسات الجادة التي تميزت بالدقة العلمية في بحث المواضيع الأمنية ، فقد تعددت محاولات الدول على مر العصور في استعمال اساليب مختلفة للتغلغل في الدول الاخرى ، وتطورت وأتسعت هذه الاساليب واتخذت أشكالاً – ووجوهاً مختلفة ، رصد منها المؤلف أسلوب التجسس والاغتيال السياسي والتبشير وهي أساليب خطيرة تؤثر في أمن البلد وسيادته الوطنية ، وبحثها في فصول ثلاث ، تناول الفصل الأول ظاهرة التجسس ، التي تعتبر من أهم الوسائل التي تستخدم في التغلغل الاجنبي منذ أقدم العصور ولا تزال . . وشمل الفصل الثاني جرائم الاغتيال السياسي من خلال استعراض بعض النماذج الانتقائية منها على مر العصور ، سواء أكانت ضد رُؤَساء الدول والحركات السياسية أو ضد الشخصيات المهمة في السلطة . . والدروس المستنبطة من كل نموذج وبيان الوسائل والاساليب التي استخدمت في التنفيذ . . أما الفصل الثالث فقد تصدى المؤلف لموضوع «التبشير» كأحد اساليب التغلغل الأجنبي في العراق وكيفية

استغلال الجانب الديني في القضايا السياسية من خلال السفارات والقنصليات الأجنبية . . وقد سبق لهذه المواضيع أن نشرت بصورة منفردة في أعداد مختلفة من مجلة الأمن والجماهير . .

مركز الاعداد والتطوير الثقافي
١٩٨٥

الفصل الاول

ظاهرة التجسس عبر العصور[1]

(١) بحث منشور في مجلة الامن والجماهير. العدد ٣ لسنة ١٩٨٠ .



العصـــر القـــديم

من الممكن القول أن الكهنة القدماء ، ربما كانوا أول من قام باعمال تجسسية حيث كانوا يدعون أنهم قادرون على الاتصال بالاله ، واخذوا يغالون بقدرتهم على التنبؤ عن المستقبل . [١]

والتجسس موجود منذ القدم وكان يظهر عادة في وقت الحروب أو قبيل أندلاعها حيث كانت الحاجة تكمن في البحث عن المعرفة المسبقة عن العدو من حيث خططه وتجهيزه وتسليحه وعدد رجاله .

لقد سجلت التوراة نحوا من تسع قصص للتجسس في (العهد القديم) فقد وردت فيه أول قصة للتجسس ، فما جاء منها مايلي (وبعد ذلك أرتحل الشعب من حصيروت ونزلوا ببرية فاران ، فكلم الرب موسى قائلا : إبعث رجالاً يجسون أرض كنعان ، رجلاً واحدا من كل سبط من أسباط آبائهم ، تبعثون كلهم يكونون رؤساء بينهم ، وقد بعث موسىٰ باثني عشر رجلاً من بينهم (يوشع بن نون) من قبيلة (أفرايم) وارسلهم ليجسوا أرض كنعان ، وقال لهم أطلعوا من هناك من الجنوب واصعدوا الجبل وانظروا الى الارض كيف هي والشعب المقيم بها ، أشديد هو أم ضعيف ، قليل أم كثير ، كيف الارض التي هو ساكنها أخيام أم حصون وكيف الارض خصبة أم هي عقيمة ، فيها شجر أم لا ، وتشددوا وخذوا من ثمرها ، وكانت أذ ذاك أيام بواكير العنب) . [٢]

ومن خلال التوجيهات التي وجهها (موسى) سنة ١٤٠٠ ق . م الى

---

١ — Encyclopaedia Brittanica, P. 679.

٢ — التوراة — السفر المعروف بسفر (العدد) — الفصل ١٣ .

جواسيسه بيّن أهمية جمع - المعلومات الدقيقة والالمام بصغائر الامور ، ويدل تنظيم العملية على الدقة والذكاء . وقد عاد جواسيس (موسى) ليقولوا له أن أرض كنعان يتدفق منها اللبن والشهد ، ويسكنها قوم عمالقة جبابرة ضخام[٣] .

كما تذكر التوراة قصة العاهرة (راحاب) التي ساعدت جاسوسين من بني اسرائيل ارسلهما القائد الاسرائيلي (يوشع) لجمع المعلومات عن مدينة اريحا ، وقامت باخفائهم تحت كومة الكتان واعانتهم على تسلق جدران المدينة ليخرجا منها بسلام دون ان يستطيع رجال ملك اريحا اكتشافهم ، بعد ان قاما بجمع المعلومات المطلوبة ، التي ساهمت في تحقيق دخول اليهود الى مدينة اريحا وسقوطها بيدهم[٤] . وقد جاء في سفر (يشوع) مايلي «قال يشوع للرجلين الذين تجسسا الارض ، ادخلا بيت المرأة البغي واخرجا من هناك المرأة وجميع ماهو لها كما حلفتما لها ، فدخل الجاسوسان واخرجا راحاب واباها وامها واخوتها وجمع ماهو لها وسائر عشائرها واقاموا خارج محلة اسرائيل ، واحرقوا خزانة بيت الرب»[٥] . وكانت تلك اول حادثة ذكرها التاريخ المدون عن اشتراك امرأة بعملية التجسس .

كما ورد في الكتاب المقدس قصة الملك داود الذي استخدم رجلين للتجسس على ابنه[٦] . اما في الانجيل فثمة حادثة مشهورة من حوادث التجسس تتلخص في اتفاق (يهوذا) احد رسل المسيح الحواريين الاثنى

---

٣ - برنارد نيومان - أسرار الجاسوسية - ترجمة ابراهيم موسى ص ١٢ - مطبوعات كتابي - الكتاب الثالث والعشرون - القاهرة - تاذيخلعشرون - القاهرة - تاريخ الطبع بلا .

٤ - أما كيف أرسل الجاسوسان واتصلا براحاب الباغية فقد وردت الحادثة في الفصل الثاني من سفر يشوع .

٥ - سفر يشوع - الفصل السادس .

٦ - سفر الملوك الثاني - الفصل - ١٧ .

الحربي . وتدبر الامر على ضوء المعلومات التي بلغته . وبذلك فاجأ العدو من حيث لايعلم واحرز النصر[٩] .

وفي الحرب التي قامت بين مصر وسوريا نجد ان رمسيس الثاني عام ١٢٧١ (ق . م) كان قد اعتمد في خطته على مهاجمة ملك الحيثيين على معلومات قدمها له جاسوسان سوريان كانا قد خدعاه مما ادى الى وقوع عرباته المسلحة في كمين لاعدائه وبالتالي فشل في حملته[١٠] . وكانت عقوبة الجاسوس لدى الفراعنة غريبة من نوعها . فهي تعبر عن معان معينة مثل قطع لسان الجاسوس الذي يذيع اسرار الدولة[١١] .

اما في العراق القديم فقد برع الاشوريون في انشاء جهاز خاص للتجسس واهتموا بذلك اهتماما كبيرا اذ كان جواسيسهم منتشرين في جميع انحاء الامبراطورية . وفي مختلف مدن ومراكز الاعداء وكانت تتبع مختلف الوسائل لتحقيق اهدافها في ضمان سلامة امن الامبراطورية الاشورية . وكان يطلق على من يقوم بالتجسس اسم (دالي) ويعرف رئيسهم أو امرهم (رب دالي) . وكان الجواسيس منتظمين في شبكات عديدة تناط ادراتها وتوجيهها في الغالب لاحد حكام احدى الولايات او - ممثلي الملك فيها . والذين يقومون بدورهم في ارسال التقارير باستمرار الى الملك يعلمونه عن كل جديد في اخبار وتقارير هولاء المخبرين[١٢] . وكانت

---

٩ - عبد الرحمن شوقي - أسرار الجاسوسية - ص ١٤ مطابع أخبار اليوم - القاهرة . لاذكر لسنة الطبع - وبتقديرنا أن تاريخ طبع الكتاب يعود الى بداية الخمسينيات .

١٠ - أحمد الصاوي محمد - المصدر السابق - ص ٨ .

١١ - المصدر السابق ص ١٥ كذلك محمد كامل البهنساوي (المستشار) الجاسوسية قصتها علاقتها بالمجتمع وامن الدولة والقانون ص ١٢ مكتبة الانجلو مصرية القاهرة ١٩٦١ .

١٢ - وكان تحت أمره (أوبا حربيل) عامل سرجون الثاني في منطقة أرمينيا عدد من الرجال منتشرين في هذه البلاد وواجبهم تزويد الملك بالاخبار والمعلومات وبيان رأي ومواقف الحكام المحليين من ◁

شبكات التجسس الاشورية تتبع مختلف الوسائل للوصول الى المعلومات وكانت تلجأ الى خطف الرجال المعادين وتهديدهم بالقتل اذا امتنعوا عن تقديم المعلومات المطلوبة منهم . اذ جاء في احدى الرسائل في عهد اشور بانيبال بان عامل الملك في منطقة الوركاء قد أسر عدداً من الجنود وامر باستجوابهم . سائلا اياهم (من ارسلكم) ؟ فاجابوا (ارسلنا سخدوي اخ نابوا وتيزب) مع هذا الامر : اذهبوا واسروا الرجل الذي بالقرب من منطقة الوركاء لأتمكن من سؤاله عن عدد ومقدار (القوة الاشورية هناك ، وماهي اهدافها) . ويستدل من هذه الرسالة على التقدم الذي بلغته — الاستخبارات الاشورية في حذرها ويقظتها وتمكنها من ضرب تحركات الاعداء وتدل ايضا على ماتفرضه من سرية على تحركات قواتها ، ومناطق تحشدها . وكانت رسائل المخبرين ربما السبب في عدد من الحروب التي نشبت بين الاشوريين وأعدائهم ، اذ كثيرا ماكانوا يقومون بالهجوم عند سماعهم اخباراً عن قيام ملك ما بالتحشد او التحرش باحدى الحاميات عن طريق التقارير التي يرسلها هؤلاء المخبرون ، اذ جاء في رسائل بيل ابني الى اشور بانيبال بأنه علم من استخباراته بان الجيوش العيلامية اعتدت على مدينة (نفر) ، ويعتبر (بيل ابني) هذا الحادث بداية لشن حرب واسعة ضد الاشوريين ويتوقع ايضا ان يعلن بعض سكان المناطق المعادية للسيطرة

السلطة الاشورية . أذ جاء في أحدى الرسائل التي أرسلها الى سرجون الثاني بانه مستمر في مراقبة الحكام من مدينة الى مدينة أخرى وحتى وصوله الى مدينة (تورشيا) وكذلك معرفته فحوى الرسالة التي أرسلها الملك (الاوراتي) الى أحد الحكام يأمره فيها عن العمل – المتفق عليه الى حين وصول رسالة أخرى منه . وعليه أن يطعم الجياد جيداً أثناء ذلك . يوسف خلف عبد الله – الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد ط ١ ص ٦٠ – الدار العربية للطباعة – بغداد ١٩٧٧ .

الاشورية العصيان تضامنا مع العيلاميين عند سماعهم بهذا الهجوم[١٣] .

اما في الصين فقد برز الحكيم الصيني (صن تزو) وذلك سنة ٤٠٠ ق . م . حينما وضع كتابه عن (فن الحرب) احتوى فصلا عن استخدام الجواسيس الذين سماهم (بالعملاء السريين)[١٤] .

فقد قام (صن تزو) بتقسيم العملاء السريين الى خمسة انواع هم :- العملاء المحليون الذين هم مواطنون في دولة العدو ، والعملاء الداخليون ، هم الرجال الرسميون في دولة العدو ، والعملاء ، المزدوجون والعملاء الهالكون ، والعملاء الفعالون . الذين يتم اختيارهم من ذوي الموهبة والحكمة من القادرين على بناء صداقات مع رجال العدو المقربين من الحكم ، ومع النبلاء وبهذا يستطيعون مراقبة تحركات العدو ومعرفة افعاله وخططه . اذ يصبحوا على علم بحقيقة وضعه . اما كيفية اختيار الجواسيس فانه حدد بان الحصول على الجواسيس الفعالين يتوجب تجنيد الرجال الاذكياء ، ولكن يبدو عليهم الغباء ، يظهرون بانهم كسالىٰ ولكنهم اقوياء القلب ، يجمعون بين النشاط والرشاقة والقوة والشجاعة ، ويستطيعون ممارسة الاعمال بكفاءة وقادرون على تحمل الجوع والبرد والاوساخ والاذلال[١٥] .

لقد حدد (صن تزو) مقومات النصر الذي يحققه الحاكم ، هو قدرته على (المعرفة المسبقة) اذ يقول : (ان السبب وراء احراز الحاكم المتنور والقائد الحكيم للنصر على العدو حينما يحاربان وتحقيقهما لانجازات تفوق

---

١٣ - يوسف خلف عبد الله - المصدر السابق - ص ٦٢ .

١٤ - الموسوعة العسكرية العربية جـ ١ ص ٢٥٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ - بيروت ١٩٧٧ - كذلك الانسكلوبيديا البريطانية .

١٥ - صن تزو - فن الحرب - تقديم ليدل هارت - تعريب محمود حداد - الطبعة الاولى ص ١٥٠-١٥٢ - دار القدس - بيروت - ١٩٧٥ .

اعمال الرجال العاديين . هو قدرتها على (المعرفة المسبقة) ومايسمى (بالمعرفة المسبقة) لايمكن ان يستنبط من الأرواح ولا من الالهة . ولا من خلال المقارنة مع احداث سابقة ولا بواسطة الحسابات . بل الحصول عليها من الاشخاص الذين يعرفون حقيقة اوضاع العدو[١٦] .

ولا يعود الفضل الى (صن تزن) لوضعه هذا التحليل لاساليب واهداف التجسس . بل لوضعه اول توصيات مدونة في هذا المجال . وقد اثارت كتابات صن تزو اهتمام القادة الصينيين وعلى رأسهم (ماوتسي تونغ) الامر الذي جعلهم يضعون تعاليمه قيد التطبيق عند إدارتهم للعمليات العسكرية مما جعل القادة العسكريين الصينيين يندفعون لدراسته .

اما الاغريق والرومان والقرطاجنيون فقد شجعوا الجاسوسية في بلاد البحر الابيض المتوسط وغذوها ، وعندما واجه القائد المعروف (سيبو) الافريقي فيلة (هانيبال) قائد قرطاجة – وكانت الفيلة تؤلف القوات المدرعة في ذلك الحين – كان قد علم من احد جواسيسه موطن ضعفها ، وقد افاده ذلك حيث كانت للافيال مناعة تقيها من السهام والحراب ، ولكن جاسوس (سيبو) – اختلط بحراسها واستطاع ان يعرف منهم ان هناك سلاحا جديدا يملأها ذعراً ، وهو الاصوات المدوية لدقات الطبول . فحين هجمت الفيلة على قوات (سيبو) لم تقابل بحراب وبسهام لا جدوى منها ، بل قوبلت باصوات مدوية من دقات الطبول مما جعل قادتها يفقدون سيطرتهم عليها في ثوان ، وبهذا استطاع (سيبو) ان يحرز نصراً حاسما بما تحقق له معرفته عن الفيلة[١٧] .

---

١٦ – صن تزو – المصدر السابق – ١٥٠ .

١٧ – برنارد نيومان – المصدر السابق – ص ١٥ . كذلك أحمد هاني – الجاسوسية بين الوقاية والعلاج – ص ٣٦ – الشركة المتحدة للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٩٧٤ .

تطور التجسس
في العصـــر الاســـلامي

كان العرب امة محاربة . سواء فيما بين القبائل العربية نفسها ، او فيما بين الدول والاقوام المحيطة بها ، فهي لذلك قد استخدمت سلاح التجسس لغرض صيانة امنها وتحقيق التفوق على اعدائها خاصة في المجالات العسكرية . ففي العهد الاول للاسلام كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قبل ان يشن غاراته على المشركين يرسل اتباعه للتعرف على مواقع اعدائه المشركين . وقد تم انتصاره في موقعة بدر بالفئة القليلة المؤمنة التي غلبت الفئة الكبيرة الكافرة . كما أنه عندما علم بأن المشركين سيعيدون الكرة في العام التالي كما اخبره انصاره في مكة بالمؤامرة الجديدة جهز الخنادق . وذهل المشركون عندما وجدوا خندقا وسورا بالمدينة يحيط بها ويحميها ، وحمى الله محمداً والمسلمين من العدوان ونصر دينه .

وقد حدث في عهد حروب المسلمين مع المشركين ان ارسل الرسول ﴿ﷺ﴾ عبد الله ابن جحش وامره بان يذهب ليتقصى له الاخبار ورأى عبد الله اثناء سيره ثلاثة اشخاص قد تخلفوا عن قافلة قريش ليتجسسوا فامر المسلمين بقتلهم فقتل أحدهم وضَبَطَ الاخرين وعادوا بهم الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وكان ذلك اثناء الاشهر الحرام التي كان القتل فيها محرما فعتب بعضهم على عبد الله مافعل .

ولكن الله انزل اياته في سوة البقرة :-

«والفتنة اكبر من القتل . ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا»

«صدق الله العظيم»[18] .

لقد اولى المسلمون الاوائل اهمية لجمع المعلومات المسبقة عن العدو . ولكنهم لم ينسوا شيئا هاما وهو ان العدو الذي تجمع عنه المعلومات قد يتخذ هو الاخر مثل هذه الخطورة فيسعى الى جمع المعلومات عن جيش المسلمين وهذا فرضت السرية على جميع اعمال المسلمين وفي مقدمتها الحرب . واصبح قول النبي ﷺ «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» . شعارا للمسلمين في كل مايأتون من اعمال[19] .

وقبيل غزوة بدر الكبرى بعث النبي محمد ﷺ علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص في نفر من اصحابه الى ماء بدر يتلمسون له الخبر عليه . وعادت هذه الطليعة ومعها غلامان عرف محمد منهما ان قريشا وراء الكثيب بالعدوة القصوى . ولما اجابا انهما لايعرفان عدة قريش . سألهما محمد كم ينحرون كل يوم : فاجابا : يوما تسعا ويوما عشرا فاستنبط النبي من ذلك انهم بين التسعمائة والالف . وعرف من الغلامين كذلك ان اشراف قريش جميعا خرجوا لمنعه[20] .

وقبيل كل معركة كان القادة المسلمون على اختلاف مراتبهم يبذلون اهتماما كبيرا في جمع المعلومات عن العدو والارض . وكان قائد المسالح هو المسؤول الاول عن جمع المعلومات . وكثيرا ما كان القائد ذاته يباشر اعمال جمع المعلومات ، أو استجواب الاسرى واجراء عملية التقاطع بين المعلومات والتأكد من صحتها . ثم توزيع هذه المعلومات باسرع ما يمكن . وكان القادة بدورهم يتبادلون المعلومات فيما بينهم . ويرسل موجز عن هذه

---

١٨ – محمد كامل البهنساوي – المصدر السابق – ص ١٤ .

١٩ – أبراهيم الطحاوي وعبد الرحيم فودة – المدرسة العسكرية الاسلامية – ص ٣٠٤ .

٢٠ – محمد حسنين هيكل – حياة محمد – ص ٢٧٢ – الطبعة الرابعة عشر دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .

المعلومات الى الخليفة . ونتيجة لجمع المعلومات من مصادر مختلفة عند الخليفة يصبح باستطاعته اتخاذ القرار المناسب فيرسله على شكل اوامر الى قادته . وعندما تكون المعلومات المتوفرة عند الخليفة أو القائد منقوصة او غير كاملة . فانه كان يبعث الى قادته لاستكمالها ، او يرسل الى قادة اخرين من جهة ثانية اذا كان مصدر المعلومات يتعلق بجبهاتهم . فتصله المعلومات وتتوضح صورة الموقف بشكل كامل(٢١) .

وتعتبر وصايا الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى سعد ابن ابي وقاص ورجاله بوجوب اذكاء العيون واختيارهم واتخاذ التدابير التعبوية للأمن ، والحصول على المعلومات عن العدو وعن ارض المعركة ، والحذر من مباغتة العدو لجيشه . الخ تعتبر من المع ما كتب في هذا الموضوع كما انها دليل على اهتمام القائد بتفاصيل الامور(٢٢) اذ جاء في وصيته الى قائده سعد ابن ابي وقاص (اذا وطئت ارض العدو ، فاذك العيون بينك وبينهم(٢٣) ولا يخف عليك امرهم وليكن عندك من العرب او من اهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه . فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك وليس عينا لك)(٢٤) .

الرسالة التي وجهها مروان بن محمد لابنه عبد الله لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني تبين لنا علاقة الجواسيس ، واسلوب عملهم انذاك ، فاننا

---

٢١ - بسام العسلي - فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والامويين ص ٤٣ - دار الفكر - بيروت سنة الطبع غير مذكورة .

٢٢ - محمود شيت خطاب - اللواء الركن - الفاروق القائد ص ٨٠ - الطبعة الاولى - مطبعة العاني بغداد ١٩٦٥ .

٢٣ - العيون هم الجواسيس . واذكاؤهم أي نشرهم في كل مكان يحتمل وجود العدو فيه .

٢٤ - إبن عمر أحمد بن عبد ربه الاندلسي - العقيد الفريد - ج ١ - الطبعة الثانية ص ١٣١ - مطبعة لجنة التاليف والترجمه والنشر القاهره - ١٩٤٨ .

نطالع في رسالته قوله الى ابنه (احذر ان يعرف الجواسيس في عسكرك او يشار اليهم بالاصابع وليكن منزلهم على كاتب رسائلك وامين سرك ويكون هو الموجه لهم والمدخل عليك من اردت مشافهته منهم).

«واعلم أن لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة وجواسيس كامنة وانه لن يقع رأية عن مكيدتك بمثل ما تكابده به. وسيحتال لك كاحتيالك له فاحذر ان يشهر رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضوعه فيعد له المرصاد فان ظفر به فاظهر عقوبته. كسر ذلك ثقات عيونك وخذلهم عن تطلب الاخبار من معادنها واستقصائها من عيونها حتى يصيروا الى اخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة لقطا لها بالاخبار الكاذبة والاحاديث المرجفة». وللجواسيس معاملة خاصة فيجب ان تؤخذ معلوماتهم بعين الحذر، كما يجب ان يعاملوهم ايضا بالحذر. وذلك لخطورة النتائج المترتبة على المعلومات التي يحصلون عليها او التي يقدمونها وما يتبع ذلك من قرارات وإجراءات: «اعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا لك وعليك فنصحوا لك وغشوا عدوك او غشوك ونصحوا عدوك وكثيرا ما يصدقونك ويصدقونه فلا تبدر منك فرطة عقوبة الى احد منهم. واستنزل نصائحهم بالمياحة والمنالة - «اي بالعطاء والانفاق» وابسط من اماهم فيك من غير ان ترى احدا منهم انك اخذت من قوله اخذ العامل به والمتبع له»[٢٥].

لقد وضع الامويون نظام البريد لغرض الوصول الى المعلومات بصورة سريعة اليهم، ومما يدلل ذلك ان نشاطهم في هذا الميدان كان منظما وفعالا رغم صعوبة وسائل الاتصال ونقل المعلومات في ذلك الحين. ويرجع هذا

---

٢٥ - بسام العسلي - المصدر السابق - ص ٤٤.

النظام الى ايام اكاسرة الفرس وقياصرة الروم . على ان مقاديره او مسافاته لم تكن ثابته بل كانت متفاوته . وقد ذكر القلقشندي ان اول من وضع البريد في الاسلام معاوية بن ابي سفيان الذي اخذه عن الروم اثناء حكمهم في الشام . وان لم يحكم الا في عهد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) [٢٦] . وكانت معرفة الاخبار وابلاغها قد بلغت درجة عظيمة من الرقي في الدولة الاسلامية . وكان صاحب البريد هو صاحب الاخبار الرسمي وكان له (عيون) يوافونه بكل جديد [٢٧] .

وقد ادخل على نظام البريد عدة تحسينات ، حتى اصبح اداة هامة في ادارة شؤون الدولة وقد جاء عن عبد الملك انه قال لاحد رجاله : - (وليتك ما حضر بابي إلا أربعة المؤذن فأنه داعي الله تعالى فلا حجاب عليه . وطارق الليل فشر ما أتى به ولو وجد خير النام ، والبريد فمتى جاء من ليل ونهار فلا تحجبه فربما على القوم سنة حبسهم البريد ساعة . والطعام اذا ادرك فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول) [٢٨]

وفي الدولة العباسية اهتم الخلفاء العباسيون اهتماما بالغا بعمليات جمع المعلومات والتجسس ويعزى ذلك الى اتساع الدولة العباسية ووجود الاقاليم المتعددة والبعيدة فيها ، والتي تحتوي على اجناس مختلفة من الشعوب والقوميات .

لذا كان ترتيب عمليات ارسال الجواسيس وتنظيم وصول اخبارهم

---

٢٦ - د . حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن - النظم الاسلامية ص ٢٥٥ - الطبعة الاولى مكتبة النهضه المصرية - القاهره ١٩٣٩ .

٢٧ - ادم متز - الحضاره الاسلاميه في القرن الرابع الهجري - ترجمة محمد عبد الهادي أبو زيد ص ١٥١ - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٧ .

٢٨ - د . نظيرحسان سعداوي - نظام البريد في الدول الاسلامية - ص ٥٤ - دار مصر للطباعة ٩٥٣ كذلك - د . حسن أبراهيم وعلي أبراهيم حسن - المصدر السابق ص ٢٥٠ .

بالوقت المناسب الى الخلفاء العباسيين وكان صاحب البريد او صاحب الخبر هو عبارة عن جاسوس الخليفة او الامير او عينه الباصرة واذنه السامعة ينقل اليه اخبار عماله او مساعي اعدائه . فالبريد من هذا القبيل اشبه بدائرة تتولى تنظيم التجسس وكان الخلفاء لا يولون البريد الا ثقتهم من اهل التعقيل والدراية لان على ما ينقلونه من اخبار تتوقف علاقات الخلفاء بعمالهم او بمعاصريهم . وكان كسرى لا يولي البريد الا أولاده[٢٩] .

وكان بنو العباس اكثر عناية في امر البريد وبالغوا في استخدامه ، فقد كانت الظروف تستلزم الاكفاء من العيون في سرعة جمع المعلومات وايصال حركات الاعداء المناهضة للدولة وتتابع القتال مع الروم[٣٠] .
فاصحاب الاخبار هنا جواسيس هذه الايام . ولم يكن صاحب البريد والخليفة او السلطان او الامير واسطة . فاذا جاء صاحب البريد بخبر لا يطلع أحداً عليه قبل انهائه الى الخليفة ليكون هو الذي يشيعه او يكتمه حسب ما يراه[٣١] .

أما الجواسيس الذين كان العباسيون يستخدمونهم من الرجال والنساء على حد سواء وكانوا يرحلون الى البلاد المجاورة متنكرين في أزياء التجار والاطباء[٣٢] أو الفقراء أو الحجاج أو السواح لجمع الاخبار ، وليقدموا

---

٢٩ – جرجي زيدان – تاريخ التمدن الاسلامي – ج ١ ص ٢٢٠ الطبعة الثانية – مطبعة الهلال بمصر . كذلك د . عبد الجبار الجومرد – هارون الرشيد – دراسة تاريخية إجتماعية سياسية ص ٣٤٨ المكتبة العمومية – بيروت .

٣٠ – جرجي زيدان – المصدر السابق – ص ٢٢١ .

٣١ – د . توفيق اليوزبكي – دراسات في النظم العربية الاسلامية – ط ٢ – ص ١٣٨ مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر الموصل ١٩٧٩ .

٣٢ – د . حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن – المصدر السابق ص ٢٣٥ .

المعلومات عن قوة العدو ونقاط ضعفه وتخطيط حصونه[٣٣] وغيرهم لجمع الأخبار . وكانت لمصلحة البريد في الدولة العباسية طرق تصل الى أطراف الدولة . وينقسم كل طريق الى محطات أو مراقف . واستفاد العباسيون في نقل المعلومات من الخيول المدربة السريعة ومن الحمام الزاجل الذي كان له شأن عظيم في إرسال المعلومات بالسرعة التي ترد اليهم من جواسيسهم المنتشرين في أرجاء الدولة ، ويقال أن أول أستخدام للحمام الزاجل في نقل المعلومات السريعة كان في مدينة الموصل ثم في مصر في عهد الفاطميين[٣٤] ثم في عهد العباسيين .

وفي عصر الرشيد أزدهرت عمليات التجسس وبلغت ذروتها في الميدان الخارجي والداخلي للدولة[٣٥] .

واختار الرشيد يحي بن خالد البرمكي مشيراً ووزيراً له وولاه الأشراف على أعمال البريد وقام بوضع نظام جديد للبريد ، وجعل مراكز ومحطات له منتشره في جميع أرجاء الدولة تساهم في ايصال المعلومات من مصادرها المختلفة بسرعة الى عاصمة الخلافة بغداد[٣٦] .

ومن اشهر الوصايا والتوجيهات التي قيلت في الجواسيس والتي لازالت أغلب مبادئها يعمل بها لحد الان ، هو ما الفه (الهرثمي الشعراني) للخليفة المأمون في كتابه (مختصر سياسة الحروب) إذ احتوى بابا عن الجواسيس

---

٣٣ – د . توفيق البوزبكي – المصدر السابق – ص ١٣٨ .

٣٤ – وكان بين الاسكندرية وسوريا ومدينة بغداد إتصالات مباشرة بواسطة الحمام الزاجل الذي يسمونه بـ (حمام حلب) . د . نظير زيدان – المصدر السابق ص ٢٢٤ كذلك أدم متز – المصدر السابق – ج ٢ ص ٤٢٢ .

٣٥ – صالح مهدي العزاوي – الشرطه في التاريخ الاسلامي – منشور في مجلة الشرطة ص ٤١ العددان ٢٥ . ٢٦ – ١٩٧٣ مجلة فصلية تصدرها مديرية الشرطة العامة – بغداد .

٣٦ – د . نظير حسان سعداوي – المصدر السابق – ص ٦٠ .

والعيون حيث بين أهمية الجواسيس والمحافظة عليهم من الكشف تجاه الاعداء . وان يكون الجواسيس الذين يختارهم الخليفة ممن يثق بصدقهم وبصحتهم . والحفاظ عليهم من كشفهم حتى من قبل المقربين الى الخليفة وكيفية إستخدام بعض الجواسيس في إيصال بعض المعلومات الى العدو ولغرض خداعه . كذلك المحافظة على الرسائل والمعلومات التي يرسلها الجواسيس من الكشف واخفاؤها عن الغير . واكد ضرورة أن العلاقة مع الجواسيس علاقة فرديه لا يوجب كشفهم أمام بعضهم البعض[٣٧] .

---

٣٧ - جاء في كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي في الباب التاسع وتحت عنوان (في العيون والجواسيس) ما يلي :

قالوا : - أحكم أمر جواسيسكم فإنه رأس أمر الحرب وتدبر مكايدة العدو . واعلم أنه أن ظفر عدوك باحد منهم فعاقبه . دعاه ذلك وغيره الى يأتوك بالاخبار من غير أصولها وعلى غير حقائقها . فترق ذلك عليهم جهودك . لتكن عيونك وجواسيسك ممن تثق بصدقه ونصيحته فان الظنين لا ينفعك خبره وان كان صادقاً والمتهم عين عليك لالك .

لا تعرف أحد من الجواسيس صاحبه فانه لا تؤمن مما لا تهم للعدو وتواطئهم على الغش أو ان يورط بعضهم بعضا . توق أن يعرف أحد من أهل عسكرك عيونك وجواسيسك فيتحدث لهم في المجالس ويشار اليهم بالاصابع . إن أختلف جواسيسك في الخبر فلا تجعل ذلك ذنبا على أحد منهم فتفسد عليك أخبارهم أختلفوا وكلهم قد صدقك .

أن عثرت على أحد من جواسيسك فاستر ذلك ولا تعاقبه عليه واستصلحه أو نمه في لطف . ذكروا عن بعض الحكماء في الحرب انه كان يصيد جاسوس عدوه جاسوسا له . على أن يصدقه ويصدق عنه ويعطيه عن أكثر مما يعطيه عدوه .

ذكروا عن بعض اهل التجربة في الحرب انه كان يستدعي صدق الجواسيس بان يعطي من اتاه منهم بما يكره . اكثر ممن ياتيه منهم بما يحب .

انه لا يكاد ان يمكنك منع عسكرك من جواسيس عدوك . فاحترس منهم بكتمان السر وستر العورة ما استطعت . قد تحتاج في بعض الاحوال ان يعرف عدوك بعض أمورك . وتدبيرك على حقيقة لما تحاول من مكايدته فتلطف في ذلك باظهاره لجواسيسه . بوصلوه اليه على ما يظهر لهم فيه .

تلطف لاخفاء كتبك مع رسلك وجواسيسك بألطف الحيلة . واعلم ان بعض الحيل في ذلك ألطف من بعض ان لم يمكنك التفرد بمعاملة جواسيسك في ستر . لكل واحد منهم رجل من اوثق خاصتك ومعاملتك عنده يتولى ايصاله ولا يعلم بعضهم ببعض - الهرثمي صاحب المأمون .

ولم يعتمد الخلفاء العباسيون على الجواسيس في عمليات جمع المعلومات فحسب بل وجدوا في مصدر آخر لا يقل أهمية عن الجواسيس في جمع المعلومات . وهو الرسل والسفراء الذين كان الخلفاء العباسيون يقومون بارسالهم الى ملوك البلدان المجاورة لهم . فقد كانت عمليات التجسس من أهم أغراض الدبلوماسية القديمة حيث كان الرسل والسفراء ينتدبون اليها ويذهبون ويعودون في سبيلها .

والتجسس كان يلازم الرسول والسفير دائماً ، فيود المرسل أن يطلع على كل ما عند المرسل اليه من خير وشر ليحمله الى مرسله . وقد كانت هذه العاده قديمة ورافقت الدبلوماسيه المتقطعه في أوربا وكان لها شأن هام ، بل كانت في ذلك العهد الهدف الاول للدبلوماسيه . ويحدثنا أن الاثير عن عمرو بن العاص لما عجز على أرطبون الروم في أجنادين سار بنفسه فدخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف م أراد (٣٨) .

وقد بين نظام الملك في كتابه (سياسة تامه) أهمية الرسول والسفراء في عملية التجسس فقال (ويجب أن يعلم أن الملك بارسالهم السفراء لا يقتصدون تسليم رسالة أو نقل سفاره فقط ، بل أن هناك مئات الاغراض يبغونها . فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطرق والابار ، ويعلموا إذا كانت الطرق معبده تستطيع الجيوش أن تمر بها والامكنه التي توجد فيها المروج والاعشاب والحشائش للعلف والامكنه التي لا يوجد فيها ذلك ، وأن يعلموا أيضاً قوة الجيش ومؤنته في العدد وفي الدفاع وفي الهجوم وأن

---

٣٨ – مختصر سياسة الحرب – تحقيق عبد الرؤوف عون ص ٢٣ – ٢٥ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٤ .

يعرفوا كيف يعيش الامير . وماذا يأكل ومن يجتمع . وأن يدركوا تنظيمات بلاطه وعاداته فيه وملاهيه وهل يلعب بالصوالجه أو يذهب للصيد . وهم جهدون لمعرفة عاداته واخلاقه في عدله وظلمه ولهوه وتبذله وكرمه ورقته وهل هو متعلم أم جاهل . وهل إزدهرت مملكته بالعمران أم ملأتها الخرائب والاطلال . وهل رضي عنه جنده أم هم مغضبون مغيظون . وهل أتباعه من الفقراء . أم من الأغنياء . وهل يجّد في شؤون مملكته أم يهملها . وهل هو بخيل أو جواد ووزيره قدير أو عاجز وحاشيته من العلماء الاذكياء أم لا ؟ ثم هم يريدون أن يعلموا ماذا يحب وماذا يبغض . وان يعلموا ما شأنه أذا شرب الخمر وهل يميل الى الحب والى النساء . حتى إذا رغبوا في مهاجمة مملكته يوما أو أرادوا نقض خططه أو نقد عيوبه كانوا مطلعين مدركين يضعون المحاسن والمساوئ نصب أعينهم وينهجون بحسبها[٣٩] .

فمن هذا يتضح لنا ما كان للتجسس من شأن هام لدى السفراء ، ولهذا كان المسلمون يخشون من الرسل ويمنعون الناس الاتصال بهم أو مخالطتهم لئلا تتصل بهم الاخبار .

وواضح أن هذه الاعمال يقوم بها الرسل والسفراء ، بلباقة ودقه ، دون أن يطلع أحد على ما يفعلون . ومن الوثائق المتعلقة بالتجسس ما ذكره القلقشندي أن الملك الظاهر برقوق علم أن رسول تيمورلنك يتجسس ويتدخل في شؤون مملكته . فأحتج الى تيمورلنك وكتب أليه الظاهر سنة ٧٩٦ .

(. . . وأما ما ذكرته من أمر الرسول فقد علمناه . والذي نعرفك هو

---

٣٩ – ابن الفراء – كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة – تحقيق صلاح الدين المنجد ص ١٤٦ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٤٧ .

أن الرسول المذكور كان يكتب المنازل منزلة منزلة الى بلدنا المحروسة . واطلع عليه في ذلك جماعة من جهتنا ولما وصل الى الرحبة المحروسة قال للنائب بها . الارض للامير تيمور واقرأ الخطبة باسمه فلو كان الرسول مصلحا ما كان كتب المنازل ولا أكثر فضوله بما لا ينبغي وتكلم بما لا يعنيه . لانه لا ينبغي للرسول أن يكون الا أعمى أخرس غزير العقل ثقيل الرأس) (٤٠) .

وكان العرب يحاولون أن يلتفوا على جواسيس أعدائهم ليصيروا جواسيساً لهم على أن يكونوا صادقين ، ويعطيهم أكثر مما يعطيه لهم عدوهم (٤١) .

---

٤٠ - ابن الفراء - المصدر السابق - ص ١٤٨ .

٤١ - وقد قال الواقدي - في بعض معارك الشام عثر جنود (عمر ابن العاص) بجاسوس من الروم فقتلوه فغضب وقال لهم : هلا اتيتموني به لاستخبره . فكم عيون تكون علينا ثم ترجع فتصير معنا . الواقدي - فتوح الشام ج٢ ص ١٧ دار الجيل - بيروت سنة الطبع غير مذكورة ، كذلك - رواها الهرثمي - المصدر السابق ص ٢٤ .

عقـــوبة الجاســـوس
فـــي الفقـــه الاســـلامي

فرق المسلمون بين القصد العام والقصد الخاص لدى الجاسوس . فقد جاء في أبن العربي في وصف أعمال الجاسوس (من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا اذا فعله لغرض دنيوي وأعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب بن أبي بلتعه حين قصد بذلك أتخاذ اليد ولم ينو الرده عن الدين)[٤٢] .

فاذا قلنا لا يكون به كافرا فاختلف الناس فهل يقتل به حدا أم لا . فقال مالك وابن القاسم واشهب يجتهد فيه الامام وقال عبد الملك اذا كانت تلك عادته قتل لانه جاسوس .

وقد قال مالك بقتل الجاسوس وهو صحيح لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ، فأن قيل هل يقتل كما قال عمر من غير تفصيل ولم يرد عليه النبي (ﷺ) الا بانه من أهل بدر وهذا يقضي أن يمنع منه وحده ، ويبقى قتل غيره حكما شرعيا[٤٣] .

---

٤٢ – احمد فتحي بهنسي – المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي – ص ٥٦ – دار القلم – القاهرة ١٩٦١ .

٤٣ – نزلت في ذلك سورة الممتحنة «يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق . .» وقد نزلت فيا حصل من حاطب بن ابي بلتعه وهو من المجاهدين عندما جاءت ساره وهي امرأة فقيرة من مكة تنشد نفقه فعندما ارادت الرجوع الى مكة لقيها حاطب واعطاها عشرة دنانير اجر توصيل كتاب لكفار قريش وكان في الكتاب (من حاطب بن ابي بلتعه الى اهل مكة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يريد غزوكم فخذوا حذاركم ، فاخبر جبريل رسول الله بذلك) فارسل صلي الله عليه وسلم عليا وعمارا وجماعة من المسلمين ليلحقوا بها فياخذوا – الكتاب قبل ان يصل الى ايدي كفار قريش . فلما لحقوا بها واستردوا منها الكتاب طلب

وعن سلمى بن الاكوع قال (أتي النبي (ﷺ) عين وهو في سفر ، فجلس عند بعض أصحابه يتحدث ، ثم أنسل ، فقال النبي (ص) أطلبوه فاقتلوه فسبقتهم اليه فقتلته) وفي الحديث دليل على أنه يجوز قتل الجاسوس (٤٤) .

أما مالك فحكي عنه أنه من الجرائم ما يبلغ به القتل ووافقه بعض أصحاب أحمد بن حنبل في مثل قتل الجاسوس المسلم إذا تجسس للعدو على المسلمين لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد بالارض وجوز بعض الحنابله كابن عقيل قتله (٤٥) .

أما الاوزاعي فقد قال بقتل الجاسوس الكافر لنقضه العهد وقال أصبغ الجاسوس الحربي يقتل ، والجاسوس المسلم والذمي يعاقبان الا أن يتعاهدان

رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وسأله . ما حملك على ذلك : فقال : يا رسول الله والله ما كفرت منذ اسلمت ولا احببتهم منذ فارقتهم . ولكني كنت رجلا غريبا في قريش ولي اهل بينهم اخش عليهم منهم وغيرهم قرابات اقوياء يحمون بها اولادهم واموالهم فاحببت ان اقدم لقريش يدا احمي بها قرابتي . فصدقه الرسول وقبل عذره لانه ممن شهدوا بدرا ونزل في ذلك . (يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء . .) .

محمد ابن علي بن محمد الشوكاني – نيل الأوطارج^٨ ص^٩ الطبعة الثانية – شركة ومطبع مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر – ١٩٥٢ . كذلك الفيروزبادى الشيرازي – المهذب – ج^٢ ص ٣٥٨ مطبع مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٤٣هـ .

٤٤ – وسمي الجاسوس (عينا) لان (عمله بعينه او لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها كأن جميع بدنه صار عينا) الشوكاني – نيل الاوطار – ص ٩ – المصدر السابق .

٤٥ – محمد بن القيم الجوزية – الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ص ١٠٦ – مطبعة الاديب والمؤيد بمصر – سنة ١٣١٧ هـ .

كذلك احمد فتحي بهنسي – العقوبة في الفقه الأسلامي ص ١٤٧ – مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٨ م .

كذلك خالد عبد الحميد فراج – دراسات مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الجنائي الطبعة الاولى – ص ٤٥ – دار المعارف بمصر – ١٩٦٧ .

على أهل الاسلام فيقتلان[٤٦] .

أما أبي حنيفه وهو لا يرى أن يصل التعزيز للقتل[٤٧] وقد قال أبو يوسف (وسألت يا أمير المؤمنين عن الجواسيس يوجدون وهم من أهل الذمه وأهل الحرب أو المسلمين فان كانوا من اهل الحرب أو من أهل الذمه ممن يؤدي الجزيه من اليهود والنصارى والمجوس فاضرب أعناقهم وإن كانوا من أهل الاسلام معروفين فاوجعهم عقوبة واطل حبسهم حتى يحدثوا توبه)[٤٨] .

ويلاحظ أن فقهاء المسلمين يفرقون في العقاب بين الجاسوس المسلم والذمي والحربي فالمسلم والذمي يقتلان إن كان قصدهما قصد خاص وهو قصد الاضرار بالمسلمين ، اما إن كان القصد الجنائي عندهما عاما أي لا يشمل قصد الاضرار فيعاقبان بعقاب دون القتل[٤٩] . أما الجاسوس الاجنبي فيقتل لتجسسه ولنقضه العهد سواء كان قصده عاما أم خاصا . ونستطيع أن نحرر الاجتهاد بين هولاء جميعاً بما ذكرناه من التفرقه بين القصد الجنائي الخاص والقصد العام – فيصل التفرقه بين قتل الجاسوس ، وعدم قتله هو قصده فإن كان قصده خاصا يقتل وان كان قصد عاما لا يقتل بل يعزز بما دون القتل . الا اذا كان أجنبياً فيقتل مهما كان قصده .

نلخص فيما سبق أن الفقهاء المسلمون قد أجمعوا على قتل الجاسوس الذي يتجسس للعدو على المسلمين .

---

٤٦ – الشوكاني – نيل الاوطار – المصدر السابق ص ٩ كذلك احمد فتحي بهنسي – المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي ص ٥٦ – دار القلم – القاهرة – ١٩٦١ .

٤٧ – نيل الاوطار – للشوكاني – ص ٧ – ج ٨ ، ص ٢١١ ج ٧ الطبعة الثانية – شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر – ١٩٥٢ .

٤٨ – القاضي ابي يوسف – الخراج ص ١٩٠ الطبعة الثانية – المطبعة السلفية القاهرة ١٩٥٢هـ .

٤٩ – احمد فتحي بهنسي – المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي – ص ٥٦ المصدر السابق .

التجســس في أوربــا
بالعصــــر الوســيط

من الممكن القول أن أوربا قد عرفت التجسس وتنظيماته بصورة منتظمة في القرون الوسطى بالرغم من كون تنظيمها كان غير متقن . فمن جانب كان من الامور المستحيلة إمكانية إخفاء حجم القوات والسفن مما يودي ذلك الى عدم إمكانية تحقيق المباغته في العمليات العسكرية ، إضافة الى ذلك فان وسائل الاتصال كانت بطيئة ، ولهذا فإن توازناً دقيقا غالبا ما وجد بين المعلومات المتوفرة عن العدو والقدرة على الاتصال في الوقت المناسب[٥٠] .

إن ضعف اجهزة التجسس الاوربية انذاك ونقصها وعدم قدرتها في الحصول على المعلومات عن الامم ، قد سببت لها هزائم عديدة في تلك الاونة[٥١] . فلم يكن الاوربيون يعرفون الكثير عن المغول الذين غزوهم في القرن الثالث عشر ، فبينما اوربا كانت غافلة كان المغول على علم تام باحوالهم ، وحتى بادق التفاصيل غير مستثنين علاقات الحكام العائلية[٥٢] كما ان بعض الكتاب الاوربيين يعزون الى ان سبب فشل الصليبيين في حروبهم مع العرب هو عدم وجود معلومات منتظمة عن العرب ، كما لم يستطيع الاوربيون تقدير مدى خطورة القوة العسكرية العثمانية التي هاجمت اوربا واحتلت اجزاء عديدة منها .

---

٥٠ - الموسوعة البريطانية .

٥١ - الانسكلوبيديا البريطانية .

٥٢ - احمد هاني - المصدر السابق - ص ٤١ كذلك - الموسوعة البريطانية .

وكان للكنيسة في القرون الوسطى نظامها الخاص لتجسس الانباء . وقد جاء على اوربا وقت كان (البروتستان) يتهمون فيه كل (جزويتي) بأنه جاسوس عليهم . كذلك نجد في تاريخ الكنيسة اتصالاً وثيقاً بين الاستبداد والطغيان ، من ناحية ، وبين الجاسوسية الفردية من ناحية اخرى . ويعيب بعض المؤرخين نظام التجسس الذي كانت تتبعه الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ويلقون عليه تبعة فشل هذه الكنيسة في الأحتفاظ بسلطانها في شمال غربي اوربا قائلين ان الأساليب المنافية للضمير التي كان الجواسيس يتبعونها . والمعاملة القاسية التي كانوا يتبعونها مع ضحاياهم ، قد أدت الى تعزيز المذهب البروتستانتي ، في حين انها كانت تهدف الى هدمه[٥٣] .

الاّ ان احدا لا يستطيع ان ينكر على جواسيس الكنيسة -اذ ذاك- كفاءتهم وقد أدت نظم (ديوان التفتيش) ومحاكمه في اسبانيا الى رفع الجاسوسية الى مستوى جديد من حيث التنظيم والأساليب . فقد كانت شبكة جواسيس ديوان التفتيش تنظم اعواناً من كل الطبقات . من الامراء الى المتسولين ومن الجنود الى الأطفال .

فسبقت النازية – بعدة قرون الى تشجيع الاتباع المخلصين على ان يشوا بأقاربهم ، وبث جواسيسها في كل مكان ، وكانت تعليماتها اليهم تقضي بأن : (على الجاسوس ان يكتسب صداقة المتهم وان يسعى الى استدراجه حتى يعترف له بجرمه وليذهب في ذلك الى درجة ان يدعي انه من شيعة المتهم .[٥٤] .

الاّ انه من المعروف ان الامبراطور فريدريك الثاني (١٢١٢–١٢٥٠م)

---

٥٣ – برناد تيومان – المصدر السابق – ص ١٧ .

٥٤ – برناد تيومان – المصدر السابق – ص ١٧ .

حاول ان يقيم اتصالات مع الحكام المسلمين . كما ان الملك لويس الفرنسي (١٢٢٦-١٢٧٠م) أرسل البعثات الى أرض المغول . وكان التجار الايطاليون يجوبون الطرق في تلك العصور وكانوا يحصلون على الكثير من المعلومات الا انه يندر من يستفيد منها من حكام اوربا في ذلك الوقت (٥٥)

وفي القرن الخامس عشر بدأت الدول البحرية الايطالية . ومنها البندقية . في انشاء سفارات لها في عواصم البلدان الاجنبية التي ترتبط معها بمصالح سياسية واقتصادية على الغالب . وبدأت منذ ذلك الحين في استخدام هذه السفارات كمركز للتجسس وفي تطوير شفرات ورموز تنقل بواسطتها المعلومات السرية (٥٦) وقد فرض على السفراء والمبعوثين في مهمة رسمية ان - يقدموا كتابة عند عودتهم تقريراً بكل ما يكون قد استرعى انتباههم مما سمعوا او شاهدوا (٥٧) وكان السفراء . سعياً وراء الحصول على نتف من الشائعات والهمسات في البلاطات . كثيراً ما يلجؤن الى أساليب من استراق السمع والتجسس . وكانوا تبعاً لذلك لا يكادون يخرجون من البلاط الذي يمثلون حكوماتهم فيه . ويلحقون بالحاكم في جميع سفراته .

حتى لو خرج طلباً للصيد والقنص . وقد أدرك الايطاليون . قبل غيرهم آنذاك ان على سفرائهم في سبيل الحصول على الأسرار والفضائح . من رجال الحاشية في البلاد الأجنبية . ان يزودهم بدورهم ببعض الانباء المثيرة . وهكذا فقد ابتكروا طريقة لتزويد مبعوثيهم بالانباء عن الوطن التي

---

٥٥ - احمد هاني - المصدر السابق - ص ٤١ .

٥٦ - الانسكلوبيديا البريطانية - كذلك - الموسوعة العسكرية العربية المصدر السابق ص ٢٥٢ .

٥٧ - د . علي صادق ابو هيف - القانون الدبلوماسي - ص ٨١ - منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٧ .

يمكن الاتجار بها في سبيل ابتزاز المعلومات عن البلاد الاجنبية .[٥٨] ومن الاقوال المأثورة في بيان دور السفراء هو ما قاله ملك بروسيا فرديك (ان السفراء هم جواسيس يتمتعون بامتيازات)[٥٩] .

---

٥٨ – وفي القسطنطينية كان الاتراك ينظرون الى المبعوثين الأجانب على انهم مجرد جواسيس . وكانوا يتعرضون للمراقبة الشديدة ، ويعاملون باحتقار مكشوف . شارل ثاير – الدبلوماسي – ترجمة خيري حماد ص ٢٤–٢٧ دار الطليعة للطباعة والنشر . كذلك – د . فاضل زكي محمد – ١٧ – سلسلة الكتب الحديثة وزارة الثقافة والارشاد – مديرية الثقافة العامة–بغداد .

٥٩ – جاك دونديو وفابر–الدولة ص ٧٧ ، ترجمة د . سموحي–منشورات عويدات بيروت–١٩٧٠ .

التجسس في
العصـــر الحـــديث

لقد وجدت الدول القومية الاوربية التي ظهرت بعد معاهدة صلح واستفاليا عام ١٦٤٨ م(٦٠) . . وما رافقها من نمو مظاهر للتسلح ، حاجتها الى المعلومات اكثر من اي وقت مضى ، وذلك ان الدول الاوربية سئمت الحرب بينها والتي دامت ثلاثين سنة ، كما سئمت معها الهجوم المفاجئ ، وقد وجدت الدول ان افضل وأسهل طريقة لحماية وجودها الوقوف على ما يجري في الدول الاخرى عن طريق الحصول على المعلومات النشطة والدائمة بواسطة السفارات والجواسيس ، وقد أدت هذه الخطة «استخدام مختلف الوسائل للحصول على المعلومات» الى نتائج جيدة ، فكان الدبلوماسيون آنذاك يقومون بارشاء موظفي البلاطات الملكية بالرشاوى وسرقة الوثائق الرسمية .(٦١) ومن أشهر أجهزة التجسس التي ظهرت في تلك الحقبة الجهاز الذي أنشأته الملكة (اليزابيث الاولى) وعهدت برئاسته الى سكرتير الدولة السيد (فرنسيس والسنكهام) الذي قام بانشاء وادارة شبكة واسعة

---

٦٠ – عقدت معاهدة واستفاليا سنة ١٦٤٨ بعد انتهاء حرب الثلاثين سنة في اوربا وتعتبر كثير من المؤلفات التي صدرت عن تاريخ القانون الدولي الحديث ان معاهدة واستفاليا هي بداية ذلك التاريخ . كما يعتبرها الكثير من الكتاب الحد الفاصل بين العصور الوسطى وسقوط النظام الاقطاعي في اوربا وبداية العصر الحديث .
محمد طلعت الغنيمي – الاحكام العامة في قانون الأمم – قانون السلام ص ٧٣ منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٠ كذلك . د . عصام العطية– القانون الدولي العام ص ١٦٩ مطبعة دار السلام بغداد ١٩٧٨ .

٦١ – د . محمد الفاضل– الجرائم الواقعة على أمن الدولة ص ٣٢-٣٣ الطبعة الرابعة المطبعة الجديدة دمشق ١٩٧٧ .

من الجواسيس ذات التنظيم الجيد والمنتشرين في عديد من الدول الاجنبية ، وجنّد لها أُناس ذو قدرة وقابلية عالية من خريجي جامعة اكسفورد وكمبردج ، وقام بتطوير وسائل وأساليب التجسس .[٦٢] وكان أعظم نصر احرزه فرنسيس والسنكهام ، هو أنه حذر حكومته في الوقت المناسب من خطر الاسطول الاسباني (الارمادا) الذي كان يجهز لتدمير قوة بريطانيا البحرية ، وكان قد وضع أحد جواسيسه بين خدم وأتباع اميرال الاسطول الاسباني ، وقد استطاع ذلك الجاسوس ان يزود رئيسه فرنسيس بقائمة كاملة عن عدد السفن الاسبانية وبحارتها ومخازنها .[٦٣] .

اما في عهد كروميل فقد كان المسؤول عن ادارة جهاز التجسس (جون توريلو) الذي كان له الفضل في تطوير جهاز التجسس وكان يضرب به المثل كأستاذ للتجسس لكونه انشأ نظاماً فعالاً للتجسس بحيث لم تشاهد انكلترا له مثيلاً آنذاك ، ويعتبر العامل الرئيسي لنجاح (جون توريلو) هو مبلغ المال الضخم الذي كان تحت تصرفه ، وقد ذكر ان (توريلو) كان يصرف أكثر من (٧٠،٠٠٠) باون سنوياً ، وكانت السجلات تشير الى انه كان يصرف لعملائه مبالغ كبيرة مقابل معلوماتهم .[٦٤]

اما في فرنسا فقد برز جهاز التجسس الذي أنشأه الكاردينال ريشيليو (رئيس وزراء فرنسا في عهد لويس الرابع عشر) وكان رئيسه هو الأب (جوزيف دي ترمبلاي) الذي اشتهر بأسم (القس الرمادي) ، وقد ساهم

---

٦٢ - الموسوعة البريطانية .

٦٣ - برنارد نيومان- المصدر السابق- ص ٢٢ .

٦٤ - G.R. ELTON POLLCY AND POLLCE.- CAMBRIDGE-P-327 ATTHEUNNERSITY PRESS 1972.

كذلك الانسكلوبيديا البريطانية .

جواسيس ريشيليو في اكتشاف مواطن الضعف في الامراء الكاثوليك الالمان ومعالجتها لصالح فرنسا ، مما أدى ذلك في النهاية الى ثورة الجنود الالمان وانضمامهم الى الجيوش البروتستانتية .(٦٥)

ولم يكن التمييز في اوربا واضحا بين الأمن الداخلي للدولة وبين أمنها الخارجي الى درجة الوضوح على ما هو عليه الآن . . الا انه بدأ يظهر في الواقع بعد حلول القرن الثامن عشر ، ويعزى ذلك الى التطور السياسي الذي كان حصيلته ظهور فكرة (الولاء للدولة) بدلاً من فكرة (الولاء للحكام) وكنتيجة مباشرة لذلك بدأ الحكام يولون عناية متزايدة بمعرفة ما يدور في اوساط الرأي العام الداخلي والخارجي ، ونشأت الحاجة الى وجود سياسة جديدة وضرورات استخبارية نشطة يتم تغطيتها عن طريق بث الجواسيس في كل مكان سواء كان ذلك داخل الدولة أو خارجها ، لذا كان الملك البروسي (فردريك الكبير) سَبّاقاً الى انشاء وتطوير أجهزة التجسس ومكافحة التجسس ، ويعود الفضل اليه في انشاء أول نظام تجسسي واسع النطاق تحت اشرافه واشراف (بسمارك) من بعده ، واضعاً على رأسه (ويليام شتايبر) الذي ادخل لخدمة الاستخبارات أنواعاً وأنماطاً جديدة من الجواسيس ، من بينهم المزارع ، والتاجر ، وخدم المطاعم والبيوت وجعله جزء لا يتجزأ من مهام القيادة العامة . وقد اشتهر نظام (شتايبر) بصفته أفضل نظام تجسسي في القارة الاوربية في عام ١٨٧٠ واليه يعود الفضل في تطبيق أول ممارسة للتجسس الجماعي وبأسلوب اغراق منطقة الهدف بعدد كبير من الجواسيس ، وبحيث يندر الفشل لديهم في استقصاء المعلومات عن أية ناحية من نواحي وضع العدو عسكرياً

---

٦٥ – برنارد نيومان– المصدر السابق– ص ١٨ .

وسياسياً .[٦٦]

وفي عهد نابليون فقد كانت الجاسوسية الفرنسية لا تقل شأناً عن غيرها في الدول الاوربية المجاورة ، وكان قادة نابليون المرابطون على الحدود ينشطون في أوقات السلم بين فترات حروبه العديدة في استخدام الجواسيس ويدفعون لهم اجورهم وفي الحرب كانت الجاسوسية تحت اشراف أشهر جواسيس نابليون ويدعى (شولميستر) الذي لعب دوراً مهماً في حملة ١٨٠٠ وكان سبباً في هزيمة الجنرال النمساوي (ماك) وتسليمه في موقعة (أولم) الشهيرة .[٦٧]

اما روسيا القيصرية فانها تمكنت من انشاء وتطوير جهازٍ واسع للتجسس حيث انيطت ادارته الى (الاوخرانا) عام ١٨٨١ الذي حل محلّ الشعبة الثالثة لقسم الأمن بوزارة الداخلية . وكانت (الاوخرانا) في بداية تشكيلها تستهدف حماية العائلة القيصرية ونظام حكمها الا انها طورت عملها وأساليبها بعد ذلك ، وأخذت تقوم بإرسال الجواسيس الى مختلف البلدان الاوربية للتسرب داخل منظمات الطلاب الثورية المعادية للنظام القيصري .[٦٨] وقد أدى نمو القوات المسلحة الكبيرة ذات الطبيعة الاستعمارية والعدوانية ، بصورة تدريجية الى ضرورة التأكيد على الناحية

---

٦٦ - ومن الاقوال المشهورة التي قالها فريدريك الكبير مفاخراً في كيفية انتصاره على اعداءه (ان زميلي قائد جيش العدو يذهب الى الحرب يتقدمه مائة من الطباخين . اما انا فيتقدمني مائة من الجواسيس) . الموسوعة البريطانية - المصدر السابق .
كذلك - الموسوعة العسكرية العربية - المصدر السابق- ص ٢٥٢ .
كذلك برنارد نيومان المصدر السابق ص ١٤ .

٦٧ - احمد الصاوي محمد- المصدر السابق- ص ١٤ .

٦٨ - فكتور سيرج - القمع البوليسي في روسيا القيصرية ص ٦ ، ٤٢ الطبعة الاولى- دار ابن خلدون- بيروت ١٩٧٣ .

العسكرية في مجال جمع المعلومات وإناطة ذلك بالجيش نفسه ، لذا أخذ رؤساء أركان الجيوش الاوربية بتطوير اجهزة التجسس ، وخاصة في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى .

وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى كانت أغلب الدول التي دخلت الحرب تمتلك أجهزة تجسس ضعيفة ، ولم يكن هنالك توازن دقيق بين امكانيات هذه الأجهزة وبين التطور التكنولوجي العسكري الذي ظهر آنذاك ، كما يعزى السبب الى وقوع تلك الأجهزة فريسة للصراعات الداخلية والفضائح ، وأبلغ مثال على ذلك هو أجهزة التجسس الفرنسية التي عانت من المؤامرات الداخلية[٦٩] ، ومنها قضية (دريفوس) التي اضعفتها كثيراً[٧٠] .

وقد حققت بعض نظم التجسس نجاحات بارزة في العمل ، فقد حقق الانكليز نجاحاً في اكتشاف الشفرة والرموز التي كانت تستخدمها البحرية

---

٦٩ - الانسكلوبيديا البريطانية .

٧٠ - كانت جريمتا الخيانة والتجسس في فرنسا تعتبران من الجرائم السياسية التي لا يحكم على مرتكبيها بالاعدام . فلما حكم على الضابط اليهودي الفرنسي (دريفوس) بالاعتقال لارتكابه جناية التجسس لحساب المانيا مدة عشر سنوات ولم يحكم عليه بالموت . ثار الرأي العام الفرنسي ثورة عارمة . لأن العاطفة الوطنية طغت على الاعتبارات القانونية التي كانت سائدة آنذاك وأخذ الشعب الفرنسي يعتبر الخيانة والتجسس طعناً في صميم القضية الوطنية لأن الحرب لم تعد بين جيشين على الحدود . ولكنها اصبحت تجنيد لكل القوى العسكرية والاقتصادية والداخلية لمجابهة زحف الامة الاخرى وعدوانها وهذا ما عبر عنه (كليمانصو) حيث كتب عن (دريفوس) يقول (انه يستحق الموت . لا العيش في الجزر الوادعة) وقد لعبت الاوساط اليهودية دورها في هذه القضية ، فحصل دريفوس على قرار بأعادة محاكمته بعد حكمين مبرمين وتقررت براءته عام ١٩٠٦ .

د . عبدالوهاب حومد- المصدر السابق ١٤٩ .

كذلك هـ . ا . ل نشر/ تاريخ اوربا في العصر الحديث - تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع- ص ٣١٥ . ٣١٦ . ٣١٧ . الطبعة السابعة- دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

الالمانية في عملياتها العسكرية [٧١] . كذلك النجاح الذي حققته اجهزة التجسس الروسية في تمكنها من استمالة الكولونيل «الفريد ريدل» وهو من الشخصيات البارزة في ادارة مقاومة الجاسوسية في النمسا . الذي بفضله اطلع الروس على الخطط النمساوية والهنكارية . الأمر الذي مكنهم من دحر النمساويين في عدد من المعارك المبكرة في الحرب العالمية الاولى [٧٢] .

لقد أدت الدروس التي قدمتها الحرب العالمية الاولى في حقل التجسس والتقدم الذي طرأ على سرعة ايصال المعلومات عن طريق شبكات الاتصال السلكية واللاسلكية بين الجواسيس وادارتهم . بظهور الابتكارات العلمية وامكانية الاستراق عن طريق تفسير الاشارات اللاسلكية وحل الرموز والجفر . وظهور دول التزمت جانب الحياد كالسويد وسويسرا والنرويج

---

٧١ - فقد عثر الانكليز على الغلاف الذي يتضمن الشفرة التي كان يستخدمها في رسائله مع البحرية الالمانية الطراد الالماني (مجد بورج) الذي غرق في بحر البلطيق في الأسابيع الاولى من الحرب العالمية الاولى فقد كانت هذه الشفرة تكشف غوامض الشفرة السرية للاسطول الالماني . رغم ان الشفرة قد تتغير بين حين وآخر . الا ان اية صيغة خلفية كفيلة بأن تساعد الباحث في الوصول الى اسرارها . وعلى ضوء ذلك تشكلت مجموعة من خبراء فتح الشفرة البريطانيين فكانوا يلتقطون كل رسالة لاسلكية تصدر عن البحرية الالمانية ويفكون رموزها . مما أدى الى تغيب عدد كبير من الغواصات الالمانية في قيعان البحار والمحيطات . والى اعتقال عدد كبير ايضاً من الجواسيس الالمان . برنارد نيومان- المصدر السابق- ص ٨٣-٨٤ .

٧٢ - فقد ظل (الفريد ريدل) يتجسس لحساب روسيا اكثر من عشر سنوات . وقد أفشى اليهم الى جانب ذلك اسماء الجواسيس الذين تقوم النمسا بأرسالهم للعمل في روسيا لصالحها . ومن الممكن القول ان خيانة «ريدل» أضرت بوطنه اضراراً كبيراً وغيرت سير الحرب . حتى ان العالم بهت حين رأى دولة الصرب الصغيرة تصد هجوم جيوش امبراطورية النمسا التي طلبت معونة المانيا رغم ان هذا الاستنجاد كان بمثابة ضربة اليمة بكبرياء النمسا ولروحها المعنوية .
برنارد نيومان- المصدر السابق- ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ .
كذلك - الموسوعة العسكرية العربية- المصدر السابق- ص ٢٥٢ .
كذلك - الموسوعة البريطانية- المصدر السابق .

وهولندا التي اصبحت اراضيها مرتعاً لنشاطات تجسسية عديدة على قطرها عن طريق قطر آخر . بالرغم من المحاولات التي بذلتها هذه الدول لمنع استخدام اراضيها لمثل هذه العمليات ، كما ظهرت خلال هذه الفترة اليابان كدولة لها نشاطات تجسسية متقدمة . فقد شهدت الفترة الواقعة بين الحربين الاولى والثانية نشاطاً واسعاً لأجهزة التجسس وتعقيدات متتالية في تركيباتها الداخلية حتمتها التطورات العديدة في حقول التكنولوجيا المختلفة (٧٣) .

وقبل بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كانت اجهزة التجسس ومكافحة التجسس لا تعني فقط الحصول على المعلومات العسكرية او الدبلوماسية ، بل وعلى المعلومات الصناعية والعلمية الخاصة بالعدو . وخلال سني الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وصلت اجهزة التجسس الى درجة عالية من الكفاءة والمقدرة ، ومع التقدم العلمي اتسع استخدام الوسائل الفنية في الحصول على المعلومات ، وكان التقدم في الطيران والتصوير الجوي قد سهل عملية كشف المنشآت العسكرية والمصانع الخاصة بالانتاج الحربي وتحديد أماكن الجنود ، فضلاً عن كشف الاستراتيجية (٧٤) .

كما تميزت هذه الفترة بظهور المخابرات المركزية الامريكية وخاصة بعد (كارثة بيرل هاربر) عندما شنت الطائرات والسفن اليابانية عام ١٩٤١ هجوماً مباغتاً على قاعدة بيرل هاربر البحرية والجوية في جزيرة هاواي ، فقد كانت في امريكا قبل ذلك عدة وكالات مستقلة للمخابرات ولم يكن هناك مركز ينسق اعمالها ، وقد استفاد الامريكان عند تكوين اجهزة

---

٧٣ - الموسوعة البريطانية- المصدر السابق .
كذلك- الموسوعة العسكرية العربية- المصدر السابق- ص ٢٥٢ .

٧٤ - احمد هاني - المصدر السابق- ص ٤٧ .

مخابراتهم من افكار وخبرة اجهزة التجسس البريطانية . غير ان الخيار الأخير لنوع مخابراتهم حددته نوعية اتجاهات الولايات المتحدة الامريكية المتزايدة . فبعد ان تعلم الامريكيون الكثير في البداية من المخابرات الانكليزية والفرنسية ، تحولوا الى النوع الثاني من المخابرات واصبحوا ورثة الاشكال التنظيمية لنظام الجاسوسية الالماني والياباني وأساليبه(٧٥) .

وتمكن الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ان ينشئوا العديد من شبكات التجسس في دول المحور سواء كان ذلك في اوربا او جنوب شرقي آسيا او شمال افريقيا ، وقد استفادوا من استخدام اجهزة اللاسلكي السرية في توصيل المعلومات ، كما نجحوا في ادخال عملائهم الى هذه

---

٧٥ - يستعرض الكاتب السوفيتي (سيرجيف) السمات العامة التي يتميز بها تطور مختلف انواع المخابرات الأمبريالية . التي تنتمي لها بالطبع المخابرات الأمريكية . يؤكد ان اجهزة المخابرات في الدول الامبريالية تعكس خصائص تطور الرأسمالية في كل بلد على حدة . ربما بصورة اوضح من سائر اجهزة الدولة . وهو يميز بين نوعين من اجهزة المخابرات في الغرب . مخابرات الدول الاستعمارية القديمة (المخابرات الفرنسية والهولندية والبريطانية التي تعد اكثرها تطوراً) والمخابرات الاحدث نسبياً (المانيا وامريكا واليابان) .

فأما النوع الاول فقد تشكل كما يقول في تلك الأيام التي كان النهب الاستعماري فيها يعد المصدر الاول للتراكم البدائي لرأس المال . وقد نشأت اجهزة المخابرات هذه خلال عملية الحروب الاستعمارية . ومنذ القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر جمعت هذه الاجهزة خبرة ضخمة وانشأت شبكة واسعة من الاتصالات السياسية والاقتصادية والدينية وغيرها من الصلات . اما النوع الثاني فترجع اجهزته الى القرن التاسع عشر . وبشكل اساسي الى بداية القرن العشرين . ولقد كان الدافع الى انشائها وبروزها هو الاتجاهات العسكرية لدى الدول التي اندفعت الى الأمام اثناء الصراع من اجل اعادة تقسيم العالم الذي وجدته مقسماً . . . وسرعان ما بدأت هذه الأجهزة الجديدة اسلوب الجاسوسية الواسعة الشاملة الذي اتخذ شكله النهائي في اليابان والمانيا في القرن العشرين . فلقد تميز نشاط المخابرات اليابانية والالمانية لضمان تحقيق اهدافها التوسعية بأقصى قدر من المغامرة واتساع مجاله الاقليمي . واقامة اوسع شبكة من الجواسيس الممكنة في الخارج .
ف . سيرجييف- تطور الاساليب والاشكال في دولة المخابرات الامبريالية- ص ١٣١ بحث منشور في مجلة دراسات اشتراكية- تصدر عن دار الهلال القاهرة العدد الثالث ١٩٧٢ .

المناطق سواء بواسطة اسقاطهم بالمضلات او انزالهم الى البر من الغواصات او بواسطة القوارب الصغيرة[٧٦] .

وفي اليابان حقق الاتحاد السوفيتي اثناء الحرب العالمية الثانية انتصاراً مهماً في حقل التجسس . حيث تمكن (ريتشار سورج) الالماني في تكوين شبكة تجسسية امدت الاتحاد السوفيتي بالكثير من المعلومات الهامة عن اليابان والمانيا حتى قيل عنه انه أكفأ جاسوس خدم الاتحاد السوفيتي[٧٧] . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، دخلت انظمة التجسس في صراعات خفية ، وتنافست فيما بينها من اجل الحصول على المعلومات[٧٨] .

فالحروب المحدودة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية بتنوع اساليبها واتساع نطاقها وما طبعت به من تجريد كل القوى وحشد جميع الامكانات والمرافق في الدولة للاستعانة بها ، في ميدان المعركة على قهر العدو - اصبحت تستلزم بقاء امور عديدة ومعلومات متنوعة وبيانات كثيرة طي

---

٧٦ - احمد هاني- المصدر السابق- ص ٥٠ .

٧٧ - فقد كان (ريتشار سورج) مراسلاً لأحدى الصحف الالمانية في اليابان وكان يلعب دور النازي المخلص لبلاده . وكان قبل انخراطه في العمل في اجهزة التجسس السوفيتية شيوعياً ، ويعزو سبب انكشاف امره هو قيامه بكسب بعض الشيوعيين اليابانيين الى شبكته . ومن الملاحظ ان الاتحاد السوفيتي لا يعني الاحزاب الشيوعية في الخارج من مهمة التجسس لصالحه ويحرص ان تكون الاتصالات بين الحزب واجهزة التجسس على اقلها . وان يكون من المتعذر اثبات التعاون بينها .
كيرت سنجر- اعلام الجاسوسية العالمية- ص ١٩٥-٢١٦ ، ترجمة بسام العسلي- دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر- بيروت ١٩٦٥ .
كذلك احمد هاني المصدر السابق ص ٥٠ .
كذلك دافيد .ج . دالين- المصدر السابق- ص ٤٧ .
كذلك - احمد شوقي عبدالرحمن (اللواء اركان حرب) ، الجاسوسية الحمراء ، ص ١٨-٤٨ مطبعة جريدة المصري- القاهرة ١٩٥٣ .

٧٨ - الموسوعة العسكرية العربية- المصدر السابق- ص ٢٥٢ .

الخفاء والكتمان . ولم يعد التجسس يقتصر على الاسرار الصرفة ، وانما أضحى يتناول كثيراً من النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية والصناعية التي ينبغي ان تكون مكتومة لما قد ينجم عن معرفة الدول الاجنبية بها ، واطلاعهم عليها من اضعاف لقوة الدولة ، وعرقلة لجهودها العسكرية واضراراً بالاستعدادات الخاصة بالدفاع وقت السلم[٧٩] لذا لم تعد الجاسوسية سلاحاً من اسلحة الحرب فحسب ، وانما غدت ايضاً أداة تستخدم في وقت السلم بصورة منتظمة ودائمة وفعالة كوسيلة من وسائل اعداد الحرب والتحضير لها (٨٠) .

ويعتبر ظهور التجسس العلمي من ابرز سمات التجسس في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية ومن أشهر عمليات التجسس العلمي ، هو تمكن الاتحاد السوفيتي من سرقة أسرار صناعة القنبلة الذرية[٨١] . وفي الستينات توالى اكتشاف وسائل مختلفة في التجسس ، واستخدام التطورات الحديثة في ميدان الالكترونيات[٨٢] ، فلم تعد مصادر المعلومات التقليدية ، كافية لتغطية جميع المعلومات المطلوبة عن بلد ما ، وحل محل

---

٧٩ - المذكرة الايضاحية لقانون العقوبات المصري رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٠ .

٨٠ - GARRAUD– Droit Pénal Français– N1195– PARIS 1916.

GARRAUD P., Droit Pénal Français, No. 1195. Paris 1915.

٨١ - وقد قضت المحاكم في الولايات المتحدة الامريكية بعقوبة الاعدام على العالم اليهودي الامريكي (روزنبرغ) الذي نقل اسرار الابحاث العلمية الامريكية في مجال الطاقة الذرية الى الاتحاد السوفيتي وقد استفادت اجهزة التجسس السوفيتية من انتسابه السابق للحزب الشيوعي في استمالته للعمل معها . وبذا تمكن الاتحاد السوفيتي من تعويض التخلف الذي أصابه في هذا المجال .
كيرت سنجر- المصدر السابق- ص ٣٧٩-٣٩٦ . كذلك د . محمد الفاضل- المصدر السابق ص ٢٩٦ . كذلك احمد هاني- المصدر السابق ص ٦٠ .

٨٢ - كمال السعدي- الحرب الالكترونية- ص ٢٠٣- المركز العربي للدراسات الاستراتيجية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- الطبعة الاولى بيروت ١٩٧٧ .

الجاسوس (البشر) الاجهزة العلمية الدقيقة مثل الاقمار الصناعية والطائرات التي تتمكن من سحب الصور الفوتوغرافية في الليل من ارتفاع شاهق يبلغ مئات الاميال وذلك لغرض التقاط الصور عن الجيوش والأماكن الصناعية ، ولقد لعبت كل من الاقمار الصناعية التي تدور في الفضاء وكذلك التقدم الذي طرأ على أساليب التصوير والتقدم التكنولوجي الذي طرأ على الكومبيوتر وكذلك العقول الالكترونية . كل هذه لعبت دوراً بارزاً في التغيير الجذري في كفاءة وقدرة اجهزة التجسس[٨٣] .

ومن الامثلة المشهورة حادثة طائرة الاستطلاع الامريكية (يوتو) والاقمار الصناعية التي تُطلقها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي لاغراض التجسس[٨٤] .

---

٨٣ – بحلول عام ١٩٦٠ اصبح الاستطلاع الجوي بواسطة الطائرة الامريكية (يو – تو) اهم عملية سرية تقوم بها الولايات المتحدة الامريكية . وهذه الطائرة مزودة بأجهزة تصوير دقيقة ومعقدة اضافة الى اجهزة استماع وقد ساعدت الجولات الجوية التي كانت تقوم بها طائرات (يو تو) خلال اربع سنوات الولايات المتحدة على تحديد مواقع قواعد الصواريخ والمطارات العسكرية وتجمعات القوات والمصانع والانشاءات الفنية في الاتحاد السوفيتي وقد تمكن الاتحاد السوفيتي من اسقاط احداها بصاروخ فيما بعد .
ف . سيرجييف – المصدر السابق ص ١٥٦ .
كذلك – ديفيد وايزتوماس روس – الحكومة الخفية ترجمة جورج عزيز ص ٢٧٠ دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .
كذلك – د . حامد سلطان – القانون الدولي العام في وقت السلم ص ٦٥٠ – الطبعة السادسة دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٧٦ .

٨٤ – بدأ استخدام الاقمار الصناعية للتجسس عندما اطلق الامريكان اول قمر للتجسس من سلسلة اقمار (ديسكفور) فوق الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٩ ثم توسعوا في اوائل الستينات . فاطلقوا اقماراً مشابهة عرف منها : سلسلة الاقمار العسكرية الدفاعية (ميداس) و (ساموس) عام ١٩٦١ . اما الاتحاد السوفيتي فقد بدأ باطلاق سلسلة اقمار التجسس (كوزموس) عام ١٩٦٢ ولا تزال هذه الدول تطلق الاقمار الصناعية لاغراض التجسس بين الحين والاخر وكلما دعت الحاجة الى ذلك . ◁

ومما لا شك فيه ان استعمال الاقمار الصناعية لاغراض التجسس ينطوي على الاضرار بمصالح الدول ولا ينسجم مع مبدأ السيادة الكاملة والانفرادية التي تمارسه الدول على طبقات الفضاء التي تعلو اقليمها الى مالا نهاية في الارتفاع(٨٥) .

كمال السعدي – المصدر السابق – ص ٢١٢ – كيرت سنجر – المصدر السابق – ص ٥٩٨ . ٥٩٩ .

كذلك – حرب الجاسوسية في العالم . مقال مترجم عن جريدة اللموند دبلوماتيك الفرنسية المنشورة في جريدة الثورة /الحلقة الرابعة – ص ٥ العدد ١٤٣ في ١٩٦٩/٢/٤ .

٨٥ – ٨٦ – د . حامد سلطان – المصدر السابق – ٥٧٦ .

وقد نادت الدول الى ضرورة وضع معايير تحكم النشاط في الفضاء الخارجي بحيث تؤمن كل منها من اخطارها وبحيث تنحصر استعمالات الفضاء للاغراض السلمية وحدها . وقد ظهر خلاف حول تفسير كل من الدولتين الاعظم لعبارة (الاستعمال السلمي للفضاء) التي طرحت على بساط البحث في لجنة الاستعمالات السلمية للفضاء الخارجي . حيث اعترضت الولايات المتحدة الامريكية على منع إستخدام الفضاء الخارجي لعمليات التجسس والاستطلاع على الدول الاخرى . اما وجهة النظر السوفيتية فقد ذهبت الى تحريم الاعمال العسكرية وكذلك الاعمال العدوانية في الفضاء الخارجي على الدول الاخرى .

ولم تتضح لحد الان الاوضاع لتحقيق الطموحات التشريعية في نطاق الفضاء الخارجي الدولي .

د . محمد انور عبد السلام – الاتجاهات القانونية والفقهية المؤدية الى وضع قانون الفضاء الخارجي الدولي – بحث منشور في مجلة القانون المقارن التي تصدرها جمعية القانون المقارن العراقية – ص ٩٤ العدد العاشر – السنة السابعة – ١٩٧٩ .

٩٤ العدد العاشر – السنة السابعة – ١٩٧٩ .

وقد نصت المادة الرابعة من قانون الطيران المدني رقم ١٤٨ لسنة ١٩٧٤ . بان للدولة العراقية السيادة الكاملة والمطلقة على الفضاء الجوي الذي يعلو اقليمها .

ويستنتج من هذا النص ان مرور الاقمار الصناعية لاي غرض كان فوق المجال الاقليمي للجمهورية العراقية . ودون اذن منها ، يعد من قبيل انتهاك حرمة الفضاء الجوي الذي يعلو اقليمها .

وفي الوقت نفسه اصبحت القصص والحوادث التي تروى عن اجهزة التجسس المختلفة وعن الجواسيس وطرق مكافحتهم موضوعاً ينال اهتمام الجماهير ووسائل الاعلام المختلفة ، ومن اعدادها واصدارها ونشرها انظمة التجسس المختلفة كجزء من الصراع القائم على التنافس بينها . اما عن الوثائق الرسمية التي تحدث عن وقائع لها علاقة بأعمال التجسس ، فيقول الدكتور فاضل البراك في معرض تعليقه على وثائق وزارة الخارجية البريطانية التي تشير الى ان الفريق بكر صدقي الذي قاد

لقد اتخذت نشاطات اجهزة التجسس في الوقت الحاضر صوراً متعددة تتراوح بين التجسس والعمل السياسي السري . والحرب النفسية في البلاد الاجنبية[٨٦] وان اجهزة التجسس . فضلاً عن ذلك . اخذت تقوم (بعمليات خاصة) تتدرج في الحرب السياسية الى النشاط ذي الطابع العسكري . والى الغزو الشامل الذي ترمي منه الى اقامة انظمة حكم موالية لدولها[٨٧] . ومن الامثلة البارزة على ذلك الغزو الامريكي المعروف بأسم (خليج الخنازير)[٨٨] . والتدخل الروسي العسكري الاخير في افغانستان[٨٩] .

واما في العراق قبل ثورة ١٧ – ٣٠ تموز ١٩٦٨ فكان نشاط شبكات التجسس لم يكن محصوراً في جمع المعلومات السياسية والعسكرية والاقتصادية وايصالها الى العدو . بل كانت تضع في مقدمة مهامها . الاستيلاء المباشر على السلطة أو التأثير غير المباشر فيها بواسطة عناصرها وانصارها من اعوان الاستعمار والرجعية . اضافة

انقلاباً عسكرياً سنة ١٩٣٦ كان عميلاً قديماً من عملاء الاستخبارات البريطانية في العراق (ينبغي ان يتعامل الباحث مع الوثائق الرسمية تعاملاً مرناً وحذراً . وليس تعاملاً جامداً وقاطعاً . لان تلك الوثائق قد تكون صحيحة أو مدسوسة أو مزورة . ثم انها لا يجوز ان تفسر في معزل عن ظروف زمانها وملابسات واقعها) د . فاضل البراك – دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا ١٩٤١ – رسالة دكتوراه مقدمة الى معهد الاستشراق – اكاديمية العلوم السوفيتية سنة ١٩٧٦ بموسكو – ص ١٥٥ – الدار العربية للطباعة – بغداد – ١٩٧٩ .

٨٧ – ف . سيرجييف – المصدر السابق – ص ١٥١ .

٨٨ – وتتلخص عملية خليج الخنازير بقيام اجهزة التجسس الامريكية بإحتضان ودعم اللاجئين السياسيين الكوبيين الهاربين في امريكا ونظمت منهم قوات مدربة قامت بإرسالها ضمن خطة حربية الى كوبا وانزلت في خليج الخنازير . وكان نصيب هذه الخطة الفشل .

٨٩ – دايفيد وابرتوماس روس – المصدر السابق – ص ١٥ – ٣٥ .

وقد تناقلت الانباء من ان الانقلاب الذي اطاح بحكم محمد داود خان في افغانستان قد جرى بالدرجة الاولى بجهد المخابرات السوفيتية المنظم وفعلها في العلاقة مع ضباط الجيش الافغاني الذين تم كسبهم من خلال الدورات التي تدربوا في الاتحاد السوفيتي .

جريدة الثورة – المقال الافتتاحي بعنوان (ماذا ينتظر الاتحاد السوفيتي والعالم من نتائج بعد التدخل في افغانستان) العدد ٤٥٣٤ في ٤/كانون الثاني/١٩٨٠ .

الى ما كانت تشكله هذه الشبكات من بؤرة خطيرة للتآمر على الثورة[٩٠] فتجارب الماضي في العراق قد علمتنا درساً يجب ان لا ننساه ابداً مهما كانت الظروف والمصاعب . وهذا الدرس هو انه من المستحيل ان يستمر في العراق حكم وطني وتقدمي وان يحقق اهدافه وبرامجه وطموحه مع بقاء شبكات التجسس واوكار الرجعية المتحالفة والمتعاونة معها[٩١] لذا كانت تصفية شبكات التجسس في وطننا الحبيب حق طبيعي لا جدال فيه مطلقاً . وان الثورة ملزمة باتخاذ هذه الخطوة دفاعاً عن الجماهير[٩٢] وفي سبيل الحفاظ على امنها الخارجي والداخلي وحماية كيانها ووجودها .

---

٩٠ - التقرير السياسي المصدر السابق ص ٤٧ . ٤٨ .
كذلك المقال الافتتاحي لجريدة الثورة بعنوان (محاكمة الجواسيس خطوة جريئة لتحدي الاستعمار) جريدة الثورة - العدد ١٣١ - الصادرة بتاريخ ٢١/كانون الثاني/١٩٦٩ .

٩١ - سحق شبكات التجسس شرط لاستمرار الثورة الوطنية والتقدمية وضرورة من ضرورات المعركة مقال في جريدة الثورة ص ٦ العدد ١١٦ - في ٢/كانون الثاني/١٩٦٩ .

٩٢ - اعدام الجواسيس ووحدة الدوائر الاستعمارية - رأي الثورة - جريدة الثورة - العدد ١٤٢ في ١٩٦٩/٢/٢٣ .

مصـــادر البحـــث

١ – التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي .

٢ – إبراهيم الطحاوي – عبد الرحيم فودة – المدرسة العسكرية الاسلامية .

٣ – أبن الفراء – كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة تحقيق دار الفكر بيروت – مطبعة لجنة التأليف والنشر – القاهرة – ١٩٤٧ .

٤ – أبي إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي – كتاب المهذب – الجزء الثاني – مطبعة البابي واولاده بمصر – ١٣٤٣ﻫ .

٥ – أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربة الاندلسي – العقد الفريد – الجزء الاول – الطبعة الثانية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٤٨ .

٦ – أحمد الصاوي محمد – الطابور الاول – مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر – ١٩٤٢ .

٧ – أحمد فتحي بهنسي (الصاغ) العقوبة في الفقه الاسلامي – دراسة فقهية متحررة – مطابع دار الكتاب العربي بمصر – ١٩٥٨ .

٨ – أحمد هاني – الجاسوسية بين الوقاية والعلاج – الشركة المتحدة للنشر والتوزيع القاهرة – ١٩٧٤ .

٩ – القاضي أبو يوسف – الخراج – الطبعة الثانية – المطبعة السلفية القاهرة – ١٣٥٢ﻫ .

١٠ - الكتاب المقدس - سفر العدد - سفر يشوع .
١١ - الواقدي - فتوح الشام - الجزء الثاني - دار الجيل - بيروت .
١٢ - الهرثمي صاحب المأمون - مختصر سياسة الحروب - تحقيق عبد الرؤوف عون - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٤ .
١٣ - انجيل متي - مرقس - لوقا - يوحنا .
١٤ - بسام العسلي - فن الحرب في عهود الخلافاء الراشدين والامويين دار الفكر - بيروت .
١٥ - د . توفيق سلطان اليوزبكي - دراسات في النظم العربية الاسلامية الطبعة الثانية - ١٩٧٩ .
١٦ - جاك دونديود دفاير - الدولة - ترجمة د . سموحي فوق العادة - منشورات عويدات - بيروت - ١٩٧٠ .
١٧ - جرجي زيدان - تاريخ التمدن الاسلامي - الجزء الاول - الطبعة الثانية - مطبعة الهلال بالفجالة بمصر - ١٩١٤ .
١٨ - د . حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن - النظم الاسلامية الطبعة الاولى - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٣٩ .
١٩ - دافيد . ج . دالين - الجاسوسية الشيوعية الدولية - الجزء الاول - ترجمة المحامي فؤاد عبد المجيد - مطبعة الارشاد بغداد .
٢٠ - شارل ثاير - الدبلوماسي - ترجمة خيري حماد - الطليعة للطباعة والنشر .
٢١ - عبد الرحمن شوقي - أسرار الجاسوسية - دار أخبار اليوم - القاهرة .
٢٢ - صن تزو - فن الحرب - تقديم ليدل هارت - ترجمة محمود

حداد - الطبعة الاولى دار القدس - بيروت ١٩٧٥ .
٢٣ - د . عبد الجبار الجومرد - هارون الرشيد - دراسة تاريخية إجتماعية سياسية - الجزء الثاني - المكتبة العمومية - بيروت .
٢٤ - د . فاضل البراك - دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانية - سنة - ١٩٤١ - رسالة دكتوراه مقدمة الى اكاديمية العلوم السوفيتية - سنة ١٩٧٦ - الدار العربية للطباعة - بغداد ١٩٧٩ .
٢٥ - د . فاضل زكي محمد - الدبلوماسية في النظرية والتطبيق - سلسلة الكتب الحديثة - وزارة الثقافة والارشاد - بغداد .
٢٦ - كمال السعدي - الحرب الالكترونية - المركز العربي للدراسات الاستراتيجية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - ١٩٧٧ .
٢٧ - كيرت سنجر - أعلام الجاسوسية العالمية - ترجمة بسام العسلي دار اليقضة العربية للتأليف والترجمة والنشر - بيروت ١٩٦٥ .
٢٨ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني - نيل الاوطار - الجزء السابع - والجزء الثامن الطبعة الثانية - شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر - ١٩٥٢ .
٢٩ - محمد بن قيم الجوزية - الطرق الحكومية في السياسة الشرعية - مطبعة الادب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧هـ .
٣٠ - محمد حسنين هيكل - حياة محمد - الطبعة الرابعة عشر - دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .
٣١ - محمود شيت خطاب - اللواء الركن - الفاروق القائد - الطبعة الاولى - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٥ .

٣٢ - د . نظير حسان سعداوي - نظام البريد في الدولة الاسلامية دار مصر للطباعة - ١٩٥٣ .

٣٣ - هـ . ا . ل . فشر - تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠) تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع - الطبعة السابعة دار المعارف بمصر - ١٩٧٦ .

٣٤ - يوسف خلف عبد الله - الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث - رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد - ط ١ - الدار العربية للطباعة - ١٩٧٧ .

٣٥ - صالح مهدي العزاوي - الشرطة في التاريخ الاسلامي - بحث منشور في مجلة الشرطة العددان ٢٥-٢٦-١٩٧٣ - مجلة فصلية تصدرها مديرية الشرطة العامة بغداد .

٣٦ - برنارد نيومان - أسرار الجاسوسية - ترجمة إبراهيم موسىٰ - مطبوعات كتابي - القاهرة .

٣٧ - سفر يشوع - سفر الملوك .

٣٨ - محمد كامل البهنساوي (المستشار الجاسوسية قصتها علاقتها بالمجتمع وامن الدولة والقانون - مكتبة الانجو مصرية - القاهرة - ١٩٦١ .

٣٩ - الموسوعة العسكرية العربية - الجزء الاول - المؤسسة العربية للدراسة والنشر - ط ١ بيروت ١٩٧٧ .

٤٠ - آدم متز - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة محمد عبد الهادي أبو زيد - الجزء الاول - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٧ .

٤١ - أدم متز - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة

محمد عبد الهادي أبو زيد – الجزء الثاني – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٦٧ .
٤٢ – د . علي صادق أبو هيف – القانون الدولي العام – الطبعة الحادية عشر – منشأة المعارف بالاسكندرية – ١٩٧٥ .
٤٣ – د . عصام العطية – القانون الدولي العام – مطبعة دار السلام بغداد – ١٩٧٨ .
٤٤ – د . محمد طلعت الغنمي – الاحكام العامة في قانون الامم – قانون السلام – منشأة المعارف بالاسكندرية – ١٩٧٠ .
٤٥ – د . محمد الفاضل – الجرائم الواقعية على أمن الدولة – الطبعة الرابعة – المطبعة الجديدة – دمشق – ١٩٧٧ .
٤٦ – د . عبد الوهاب حومد – الاجرام السياسي – رسالة دكتوراه – مقدمة الى جامعة باريس عام ١٩٤٣ – دار المعارف – لبنان – ١٩٦٣ .
٤٧ – فيتكور سيرج – القمع البوليسي في روسيا القيصرية .
٤٨ – ف – سيرجيف – تطور الاساليب والاشكال في دولة المخابرات الامبريالية – بحث منشور في مجلة – دراسات اشتراكية – العدد ٣ مارس ١٩٧٢ – القاهرة .
٤٩ – ديفيد وايز وتوماس روس – دار المعارف بمصر – ١٩٦٥ – الحكومة الخفيفة ترجمة جورج عزيز – دار المعارف بمصر – ١٩٦٥ .
٥٠ – د . محمد أنور عبد السلام – الاتجاهات القانونية والفقهية المؤدية الى وضع قانون القضاء الخارجي الدولي – بحث منشور في مجلة القانون المقارن التي تصدرها جمعية القانون المقارن العراقية – العدد

العاشر – السنة السابعة – ١٩٧٩ .

٥١ – د . حامد سلطان – القانون الدولي العام في وقت السلم – الطبعة السادسة – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٧٦ .

٥٢ – سحق شبكات التجسس شرط لاستمرار الثورة الوطنية والتقدمية وضرورة من ضرورات المعركة – مقال في جريدة الثورة – العدد ١١٦ الصادر في بغداد بتاريخ ٢ / كانون ثاني / ١٩٦٩ .

٥٣ – إعدام الجواسيس ووحدة الدوائر الاستعمارية – مقال منشور في جريدة الثورة – العدد ١٤٢ الصادرة في بغداد بتاريخ ٢٣ / شباط / ١٩٦٩ .

٥٤ – محاكمة الجواسيس خطوة جريئة لتحدي الاستعمار – المقال الافتتاحي لجريدة الثورة العدد ١٣١ الصادرة ببغداد بتاريخ ٢١ / كانون الثاني / ١٩٦٩ .

٥٥ – الن دالاس – حرفة الاستخبار – جزأن – ترجمة عبد المنعم المصرف – مسحوبة على الة الرونيو – مكان الطبع – مكان الطبع غير مذكور .

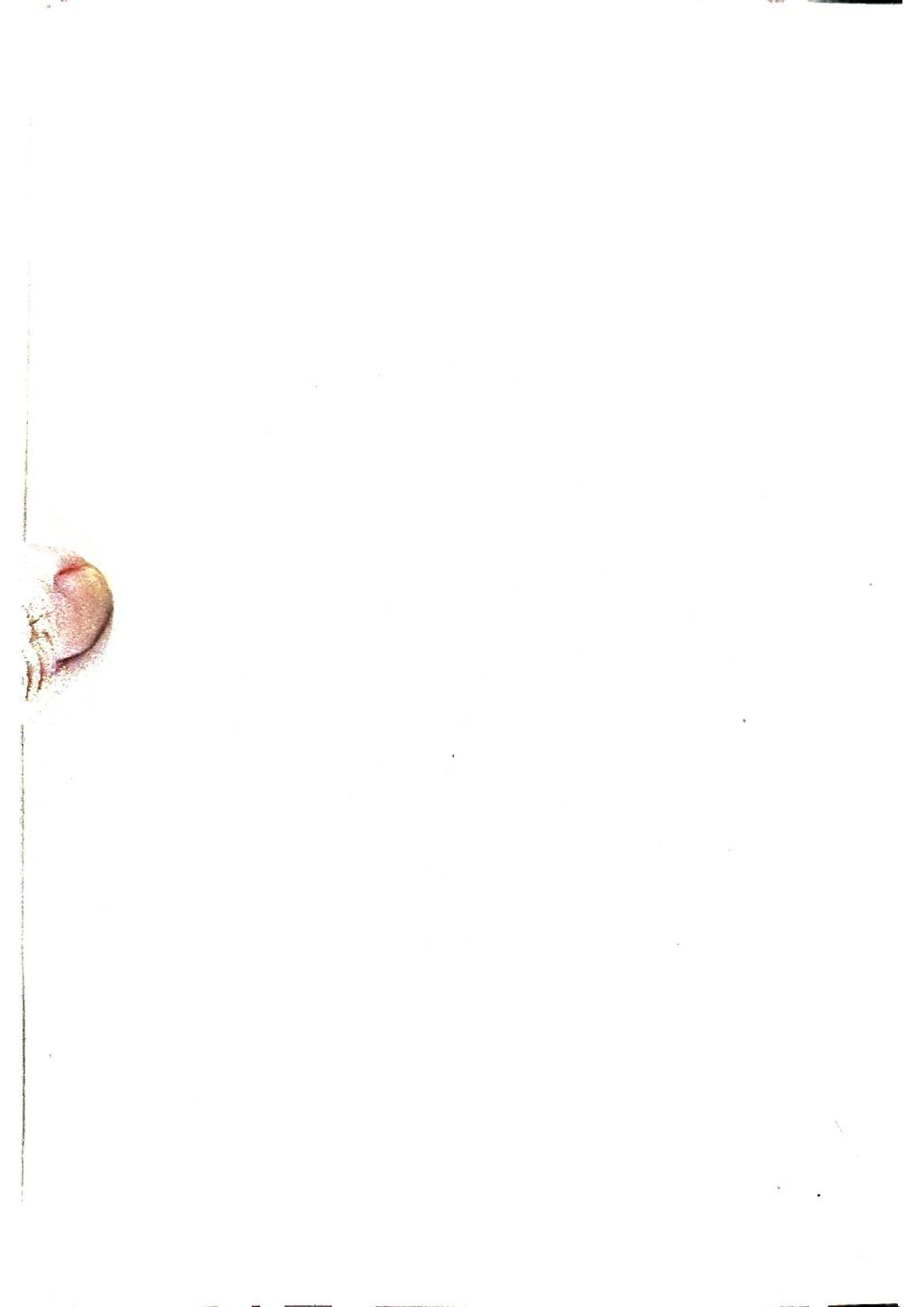
٥٦ – ماذا ينتظر الاتحاد السوفيتي والعالم من نتائج بعد التدخل السوفيتي في أفغانستان – المقال الافتتاحي لجريدة الثورة – العدد ٤٥٣٤ الصادرة في بغداد بتاريخ ٤ / كانون ثاني ١٩٨٠ .

٥٧ – حرب الجاسوسية في العالم – مقال مترجم عن جريدة دبلوماتيك الفرنسية – منشور في جريدة الثورة – الحلقة الرابعة – العدد ١٤٣ الصادرة في بغداد بتاريخ ٤ / شباط ١٩٦٩ .



الفصل الثاني

جرائم الاغتيال السياسي



تقديـــم

هذه محاولة لدراسة ميكانيكية جرائم الأغتيال السياسي من خلال استعراض بعض النماذج الانتقائية منها على مر العصور . وسنتكلم عن الجرائم التي نفذت منها . والتي لا يوجد شك فيها . تلك التي استهدفت رؤساء الدول واصحاب السلطة فيها ، سواء الذين كانوا اثناء ارتكابها على رأس السلطة أو خارجها . وتهدف هذه الدراسة الى بيان الوسائل والاساليب التي إستخدمها الفاعلون وتطورها دون الدخول بتفاصيل الاسباب والمسببات .

تقسيم

الدراسة ثلاثة مباحث . الاول يتضمن جرائم الاغتيال السياسي في العصور القديمة ، والثاني يتضمن هذه الجرائم في العصور الوسطى . أما الثالث والاخير فهو يتضمن جرائم الاغتيال السياسي في العصر الحديث .

منذ العصور القديمة كانت شخصية رئيس الدولة موضوع حماية قانونية كبيرة . والغاية من ذلك كانت دائماً هو ضمان ديمومة واستمرار الدولة واجهزتها ، وقد خصصت قوانين عقابية مختلفة على مر العصور لضمان حياة رئيس الدولة أو سلامته أو حريته الشخصية ، حيث تعتبر غالبية القوانين الوضعية الاعتداء على رئيس الدولة إعتداء على الكيان الداخلي للدولة والذي يعتبر من أخطر الأعتداءات ضد شخصية الدولة[١] .

ففي الامبراطورية الرومانية كان مجرد الاعتداء أو محاولة الاعتداء على شخص الملك بصورة مباشرة أو غير مباشرة تعد جريمة مخيفة وشاذة باعتبار أن الامة تتجسد في الملك ، وكان يطلق عليها الذات الملكية . ففي شخص وسلطة الامبراطور كانت الامة متجسدة[٢] .

ومن الممكن القول أن جريمة الاغتيال السياسي قد لازمت نشوء وتطور المجتمع ولا يخلو أي مجتمع بشري من وجودها . وقد تكون أسباب إرتكاب

---

1 – Rell – La Repression des crimes contre la personnalité de l'état, N. 41

٢ – وكانت المكاتبات والاقوال وحتى الافكار التي تنال الامبراطور معاقباً عليها حينما كانت تتعرض للذات الملكية . وكانت العقوبة هي تجربة القاء المذنب بالماء أو النار ثم أصبحت بتعريض الشخص الى الحيوانات المفترسة . ولم يسلم حتى الميت من إيقاع العقوبة بحقه إذا ما توفي بعد ذلك ، كما كان يحكم بمصادرة الاموال وحتى الابناء كانوا ينعتون بحكم أبيهم ، ولا يسمح لهم بميراثه .

R. CARRAUD – Droit pénal Français, n. 116.

T.3. (Paris – 1916)

جريمة الاغتيال لاطماع شخصية أو أحقاد قديمة أو صراع أو تناحر أحزاب . أو ثورة على حاكم ظالم عندما لا يجد المظلوم وسيلة للتحرر من مظاهر الظلم الا بالاغتيال أو التحالف مع أجنبي والعمل لمصلحته وتحت تأثيره .

وقد يكون الاغتيال لدوافع شخصية أو ذاتية واحياناً لاهداف وطنية . وقد يرتكب الاغتيال بصورة فردية أو جماعية . واحياناً يكون نتيجة ظروف مؤقتة أو فجائية واحياناً يكون نتيجة تطورات أو رواسب قديمة . وقد يضفي على الاغتيال مبررات أو محاولات لاكسابه الصفة الشرعية أو القانونية واحياناً قد يأخذ الشكل التآمري والاجرامي . والاغتيال يتم احياناً بطريقة سرية أو بشكل علني[3] .

٣ - عادل رضا - وصفي التل القاتل والقتيل - ص ٣٥ دار هيردوت - القاهرة - ١٩٧٢

المبحث الاول
جرائم الاغتيال السياسي في العصر القديم

من حالات الاغتيال السياسي ما حدث في عهد الدولة الاكدية في العراق «٢٣٧١ – ٢٢٣٠ ق . م» فبعد أن تولى العرش الاكدي الملك ريموش إبن سرجون مؤسس السلالة الاكدية ، الذي ذكرت بعض النصوص بأنه قتل من قبل أفراد من حاشيته ، حيث تم ضربه (باختامهم الاسطوانية أو رقمهم الطينية) ومن الصعب تفسير القتل بهذا الاسلوب وقد فسرت الطريقة بأن سلاح القتل كان فعلاً ختماً إسطوانياً كبيراً أو القلم المعدني الذي استخدم للحفر على الاختام ، أو قطعاً كبيراً من الحجر التي كانت تستخدم لعمل الاختام .

ويشير النص المسماري الذي ذكر الحادثة أن خليفة (ريموش) المدعو (مانشتوسو) قد قتل بالطريقة نفسها ومن قبل الحاشية أيضاً ، وكذلك بالنسبة للملك (شاركاليشاري) أحد ملوك الدولة الاكدية المتاخرين [٤] .

وفي العهد البابلي القديم (٢٠٠٠ – ١٥٩٥ ق . م) فمن التقاليد التي كانت شائعة في العهود العراقية القديمة ما يسمى بالملك البديل وهو تقليد أملته طبيعة المعتقدات الدينية العراقية القديمة التي ترى أن الملك الحاكم ممثلاً للآلهة على الارض تعتمد عليه رفاهية وامن واستقرار البلاد . فان حدث أي مكروه للملك ، اصاب البلاد جميعاً مكروه مشابه . لذا عندما كانت تظهر علامة شؤم تنبيء بحدوث ما يضر الملك ، كحدوث الخسوف أو الكسوف أو علامات الشؤم من خلال قراءة الكهنة لطالع الملك ، كان

---

4 – D.J.Wiseman, Merder in Mesopotamia – P. 254 – 36 – 1974

على الملك أن يختار أحد أفراد حاشيته المقربين اليه ليحل محله فتره ظهور تلك العلامات ولحين زوالها . ويقلده جميع صلاحياته وامتيازاته الملكية . في حين يختفي الملك الحقيقي وافراد أسرته في قصر خاص .

وفي عهد سلالة أيسن نصب ملك «أيسن» (أبرا – أمني) بستانياً كان يعمل في قصره ويدعى (أنيل باني) بديلاً عنه لظهور بعض علامات الشؤم . غير أن الذي حدث أن الملك الحقيقي توفي مسموماً بعد أن كان يتناول غداءً حاراً . فحل البديل محله وظل يحكم البلاد فترة جاوزت العشرين سنة . وكانت عملية إغتيال الملك بواسطة السم قد تمت نتيجة الاتفاق بين البديل وبين الكهنة الذين إختاروا شخصاً بسيطاً يمكنهم السيطرة عليه . فإغتالوا الملك الحقيقي(٥) .

وعلى الرغم من أن الدولة الاشورية قد حكمت فترة طويلة وتعاقبت على حكمها أكثر من ثمانين ملكاً ، الا أن حوادث إغتيال الملوك كانت قليلة إذا ما قورنت ببقية السلالات التي سبقتها أو لحقتها .

وقد ورد في النصوص التاريخية البابلية أخبار مقتل الملك الاشوري توكلتي – ننورتا – الاول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق . م) الذي كان ملكاً قوياً استطاع أن يضم بلاد بابل الى الدولة الاشورية وينصب عليها ملكاً تابعاً له . غير أن البابليين ثاروا عليه بالتعاون مع إبنه ، وتذكر النصوص أن الملك الاشوري قتل في قصره بالسيف من قبل ابنه .

وفي عهد (سنحاريب) أحد أقوى الملوك الاشوريين الذين حكموا في القرن السابع قبل الميلاد ، تشير النصوص الى انه قتل من قبل أحد أولاده . فقد جاء في أحد النصوص المسمارية البابلية :

D – Wiseman – op – Cit – P 255 – ٥

«في العشرين من شهر . . . ثبت قتل سنحاريب ملك بلاد أشور من قبل إبنه أثر تمرد وعصيان» . ولم تذكر هذه النصوص كيفية واسلوب القتل[٦] . وقد كان سنحاريب قد حكم بلاد آشور ٢٣ سنة . وكان إغتيال بتحريض من البابليين . فقام «اسر حدون» خليفته على العرش بالانتقام من اخوته الذين دبروا اغتيال ابيه .

وقد اشار اشور بانيبال ، آخر ملوك الدولة الاشورية . الى حادثة إغتيال جده سنحاريب عندما إكتشف مؤامرة لاغتياله . حيث قام اشور بانيبال بقتل جميع المشتركين فيها في المكان نفسه الذي قتل فيه جده سنحاريب[٧] .

أما في العهد البابلي الحديث (٦٢٦ - ٥٣٩ ق . م) فبعد حكم (نرجال - شارا وصر) صهر نبوخذ نصر ببضع سنوات خلفه في الحكم (لباشي مردوخ) الذي لم يستطيع الاحتفاظ بالعرش سوى بضعة أشهر حيث لاقى حتفه عام ٥٥٦ ق . م . اغتيالاً ، حيث قام الكهنة بتنصيب احدهم ملكاً هو (نبو تائيد) ولم تذكر المصادر التاريخية أسلوب الاغتيال[٨] .

وفي زمن الامبراطورية الاخمينية التي حكمت عام ٥٣٩ - ٣٣١ ق . م واتسعت وشملت معظم بلاد الشرق الادنى القديم في فترة قصيرة جداً وسيطرت على شعوب واقوام ذات حضارات عريقة منها بلاد بابل واشور

---

٦ - وقد جاء ذكر اسلوب وكيفية الاغتيال في التوراة ما يلي : -
(فانصرف - سنحاريب ملك اشور وذهب راجعاً واقام في نينوى وفيما هو ساجد في بيت الاله ضربه «اور ملك وشرا» احد ابناءه بالسيف) .
سفر الملوك الثاني - الاصحاح ١٩ : ٣٧

٧ - D - J - Wliseman op. cit, P 254

٨ - H - W - F. Saggs, Creatness That Was Babylon. London 1962, P 123

غير أن التدهور والضعف بدأ فيها منذ عهد الملك (احشو برش) سيما بعد اندحاره أمام اليونان . وقد اغتيل هذا الملك على يد أحد حجاب قصره ، واصبحت المؤامرة التي تحاك في القصر من الوسائل المألوفة في تولي الحكم . وخلفه جملة ملوك كانوا ضعفاء ، فازداد في عهودهم تدهور المملكة . ومنهم أرتحششتا الاول (٤٦٥ - ٤٢٤ ق . م) الذي قام بقتل إخوته لان أحدهم ثار عليه ، وفي عهد (احشو برش الثاني) الذي خلفه في الحكم ٤٢٤ (ق . م) ساءت الاحوال وعم الفساد والمؤامرات ، واغتال الملك أخاه بعد فترة قصيرة من توليه الحكم . وجاء بعده دارا الثاني الذي اشتهر بالقسوة والبطش وقام هذا الملك بالقضاء على جميع إخوانه ثم مات هو نفسه مسموماً وكذلك إبنه الذي خلفه في الحكم . وفي العهد الساساني (٥٩٠ م) اغتيل الملك الساساني هرمز الرابع عندما كان راجعاً من أذربيجان الى المدائن وذلك من قبل بهرام السادس واغتيل الأخير هو الاخر عام ٥٩١ م ، وفي عام ٦٢٨ م اغتيل كسرى الثاني من قبل ابنه (قباد الثاني) وقام قباد الثاني بقتل اخوته أيضاً ، الا أن قباد الثاني لم يحكم طويلاً ، فقد اغتيل هو مسموماً قبل مرور سنة على اغتياله لوالده . كما اغتيل (اردشير الثالث) وهو لم يزل طفلاً صغيراً من قبل قائد كسرى الثاني وذلك عام ٦٣٠ م .

وفي خارج العراق تحدث اغتيالات مشابهة ، في بلاد عيلام ، وفي القسم الجنوبي الغربي من ايران ، اغتيل الملك (كادا شماك خاربي) من قبل زوجته .

وفي بلد الحيثيين ، كانت الاغتيالات السياسية شائعة ، ولعل اشهرها اغتيال الملك الحيثي الشهير (مرسيليس الاول) الذي قتله اثنان من اتباعه ثم اعقبوا ذلك بقتل ابنه مع اخوته وحاشيته واعطى احدهم العرش ، وكان

الشخص الذي اعتلى العرش هو (زايدا ناتاس) الذي تذكر النصوص انه اغتيل من قبل ابنه .

أما في مصر ، فان حوادث اغتيالات الملوك قليلة جداً ، وتكاد أن تكون معدومة ، ولعل ذلك بسبب المعتقدات الدينية المصرية القديمة التي تنظر الى الملك المصري بإعتباره إلهاً . ومع هذا يذكر المؤرخ المصري أن (أمنحتاب الثاني) قد أغتيل من قبل حاشيته .

أما في سوريا فمن الاغتيالات السياسية الشهيرة ، إغتيال (ادد - ادري) إبن هو الثاني ملك دمشق التابع لبلاد أشور ، وذلك عام ٨٤٣ ق . م بخنقه من قبل «حزقيال» وهو غاصب للعرش حيث أجهز عليه وهو نائم في فراش المرض ، وبواسطة بطانية مبللة بالماء[٩] .

ويُلاحظ عن الأغتيالات السياسية في العصور القديمة أن أغلبها يقع في نطاق الأسرة الواحدة حيث يتم التخلص من الملك من قبل إبنه أو شقيقه أو أقاربه أحياناً : كذلك تم من خلال المقربين من الملك كرجال الدين (الكهنة) أو حرسه أو العاملين الاخرين معه .

أما الاسلوب الذي كان شائعا في تلك الفترة باستعمال الاسلحة التي كانت شائعة أنذاك كالآلات الجارحة (السيف والخنجر) والالات الراضة . وكان على الغالب يتم إستخدامها بالاسلوب العلني .

أما الاسلوب السري للاغتيال فيبدو أنه كان باستخدام المواد السامة ، وكان طابع الاغتيال محليا على الغالب وفي بعض الاحيان تتدخل الدول الاخرى المحلية منها أو الأجنبية في ايجاد عناصر لها قريبة من الملوك لغرض

H - W - F. saggs - op. cit. - ٩

إغتيالهم وعلى الاكثر كان الابناء يستغلون لقتل آبائهم طمعا في الحكم وبتشجيع من الاجنبي .

المبحث الثاني
جرائم الاغتيالات السياسية في العصور الوسطى

لا نجد في سير العصور الوسطى ، في غير الدول الاسلامية والدولة البيزنطية أثراً كبيراً لحوادث الاغتيال السياسي . ويرجع ذلك الى طبيعة النظم التي سادت هذه العصور ، فقد غلب الاقطاع على مجتمعات العصور الوسطى . ومن طبيعة النظم الاقطاعية توزيع السلطة توزيعاً كبيراً ، ثم إن هذه العصور كانت تتخللها روح الفروسية والمعارك العلنية من خلال ممارسة المبارزة المشهورة .

وستتكلم في هذا المبحث عن أشهر جرائم الاغتيال السياسي في العصور الوسطى ، فمن الممكن القول أو أشهر الاغتيالات السياسية التي جرت في عصر الدولة البيزنطية هو حادثة إغتيال الامبراطور (ليون الخامس) الذي عرف عنه شدة العزم ووفرة الدهاء إضافة الى قيامه باصلاحات إدارية وعسكرية وقمعه للفساد والرشوة . فقد تآمر على حياته (ميخائيل العموري) وهو من أقرب أصدقائه واشدهم التصاقاً به وكان يري نفسه أنه ليس أقل حقاً ومقدرة وكفاية من الامبراطور في إعتلائه العرش . ولكن مؤامراته إنكشفت وقضى عليه بالاعدام . وقد تمكن الاخير وهو في سجنه قبل تنفيذ الحكم بحقه أن يتصل بانصاره وأن يرسل اليهم بواسطة القس الذي عين لوعظه وكان من أصدقائه وان يطلب اليهم إنزال الضربة بالامبراطور وبعكسه فانه سيقوم بفضحهم والاعتراف عليهم . وكان القصر الامبراطوري منفصلا عن المدينة وكان الامبراطور يشهد قداس الصباح في كنيسة قصره يوم عيد الميلاد . فقد سمح حرس الامبراطور لجماعة من أشهر المرتلين أن يدخلوا الى الكنيسة ليرتلوا القداس ، وانتهز المتآمرون تلك

الفرصة . فتنكروا في ثياب المرتلين وأخفوا خناجرهم تحت أثوابهم واندسوا بين القساوسة . وكان الصبح مظلماً بارداً والأمبراطور يلتحف رداء سميكا . ويغطي رأسه أتقاء الندى فلم يعرفه المتآمرون الا حينما أرتفع صوته بالصلاة وعندئذٍ إنقضوا عليه طعناً بخناجرهم[١٠] .

وتعتبر جريمة إغتيال الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أول جريمة إغتيال سياسي شهدها المسلمون . والمؤكد أن قتله كان أنتقاما من المجوس الفرس ضد الاسلام والعروبة .

فقد مات عمر بن الخطاب (رض) بطعنة خنجر المجوسي فيروز (أبو لؤلؤة) الذي كان من سبايا الفرس بالمدينة . كان شديد الحقد على المسلمين العرب ولم ينس الذين أسروه[١١] .

وبينما كان الخليفة عمر يوقظ الناس للصلاة . كمن له أبو لؤلؤة بزاوية من زوايا المسجد قبل الفجر . فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات بخنجر له رأسان وكان مسموماً[١٢] .

أما إغتيال الامام علي (رض) فهو من الاغتيالات السياسية الجماعية والمدبرة . فقد كانت نهاية حياته على يد الخوارج ، حيث إتفق ثلاثة منهم على قتل الامام علي (رض) ومعاوية وعمر بن العاص . وتمكن عبد الرحمن بن ملجم من قتل الامام علي بضربه بطعنتين من سيفه ، حين

---

١٠ – محمد عبد الله عنان (المحامي) تاريخ المؤامرات السياسية وتطوراتها الاجتماعية ص ١٢٦ ادارة الهلال بمصر ١٩٢٨ .

١١ – عباس محمود العقاد – موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية العبقريات الاسلامية ص ٥٢٥ دار الكتاب العربي لبنان ١٩٧١ .

١٢ – السيوطي – تاريخ الخلفاء ص ٢١٦ تحقيق محمد ابو الفضل دار نهضة مصر القاهرة .

أخفق الاخران[١٣] .

ويعتبر أغتيال الحسن (رض) من الاغتيالات المشهورة إبان حكم الدولة الاموية بدمشق . فقد توفي الحسن (رض) بالمدينة مسموماً ، سمته جعدة بنت الاشعث بن قيس ، طلب اليها يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها ففعلت . فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها . فقال إنا لم نرضك للحسن . . أفنرضاك لانفسنا[١٤] . ولم يتردد يزيد بن معاوية أن يضع حدا لحياة الحسن وكان سما قاتلا لم يمهله ، وخلا الجو ليزيد[١٥] .

وقد تميزت الدولة العباسية بكثرة الاغتيالات السياسية ويبدو أن الخلفاء العباسيين وجدوا أن الاغتيالات السياسية أيسر لهم من المواجهة الصريحة لان في المواجهة الصريحة قد يسقط عدد كبير من القتلى ، ولكن الاغتيال السياسي لايسقط فيه إلا أفراد معدودون . وقد إنعكست عمليات الاغتيال السياسي على الخلفاء أنفسهم ، فعديد من الخلفاء العباسيين سقطوا نتيجة عمليات الاغتيال السياسي ، وكان للاجنبي دور بارز فيها من خلال تواجدهم قرب الخلفاء ، وكان هؤلاء الاجانب (الفرس والاتراك) الذين تسللوا الى حرس الخلفاء وقصورهم يعقدون التحالفات مع الطامعين في الخلافة من أشقاء أو أبناء الخلفاء ويكونون شركاء معهم في إعداد وتنفيذ عمليات الاغتيال السياسي ، وبعد نجاحهم تصبح لهم اليد

---

١٣ - د . محمود اسماعيل - الحركات السرية في الاسلام ص ١٧ - دار القلم بيروت - ١٩٧٣ كذلك الزمخشري خصائص العشرة الكرام البررة تحقيق د . بهيجة الحسني ص ١٠٣ وزارة الثقافة والاعلام - سلسلة كتب التراث بغداد ١٩٦٨ . كذلك د . علي حسين الخربوطلي - عشر ثورات في الاسلام - ص ٥٨ - دار الاداب بيروت ١٩٧٨ .

١٤ - السيوطي - تاريخ الخلفاء تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٣٠٥ دار نهضة مصر للنشر القاهرة تاريخ الطبع غير مذكور .

الطولى في تسيير الخلافة وفق مصالحهم . وبدأ الخلفاء يتساقطون تباعا صرعى لاهواء الاجنبي ويذكر أن الخليفة المتوكل كان قد بايع بولاية العهد لابنه المنتصر . ثم المعتز . ثم المؤيد . ثم إنه اراد تقديم المعتز لمحبته لأمهِ . فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد . فأبى . فكان يحضر مجلس العامة ، ويحط منزلته ويتهدده ويشتمه ويتوعده . واتفق أحد الضباط الاتراك من حرس الخليفة ويدعى (بغا الصغير) مع المنتصر على قتل أبيه . فدخل عليه خمسة من حرسه الاتراك في منتصف الليل وهو في لهوه . فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان وذلك سنة (٢٤٧هـ)[١٦] .

أما الخليفة المعتز فقد أغتيل من قبل حرسه الاتراك بطريقة تبدو غريبة فبعد أن خلعوه أدخلوه الحمام فلما أغتسل عطش ، فمنعوا عنه الماء ، ثم أُخرج فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتا وهو أول ميت من الخلفاء يموت عطشا . كان ذلك سنة (٢٥٢هـ)[١٧] .

أما الخليفة المسترشد بالله فقد أُغتيل وهو في خيمته حيث فتك به سبعة عشر من الباطنية . وقتلوا معه جماعة من أصحابه في (مراغه) وأما الخليفة الراشد بالله فكان في أصبهان على رأس حملة عسكرية ومرض الراشد باصبهان مرضاً شديداً . فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فراشين معه ،

---

١٥ - احمد عباس صالح - اليمين واليسار في الاسلام المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط ٢ كانون ثاني ١٩٧٣ .

١٦ - المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - ص ١٢١ ج ٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - ط ٥ - ١٩٦٧ مكان الطبع غير مذكور كذلك - السيوطي المصدر ص ٥٥٨ كذلك - الطبري - تاريخ الرسل والملوك - ج ٩ ص ٢٢٧ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر - ١٩٦٨ .

١٧ - السيوطي - المصدر السابق الاشارة اليه ص ٥٥٨ . ٥٧٤ - كذلك المسعودي المصدر السابق الاشارة اليه - ص ١٧٨ .

فقتلوه بالسكاكين[١٨] .

ونختتم العصر الوسيط بحادثة إغتيال الملك هنري الثالث عام ١٥٨٩ ، الذي أنقرضت بموته أسرة (فالوا) التي حكمت فرنسا منذ ١٣٢٨ على يد أحد الرهبان ويدعى (جاك كليمان) الذي أغمد خنجره في صدره وكانت دوافع الاغتيال دينية .

وقد توج (هنري دي نافار) ملكاً على فرنسا باسم (هنري الرابع) وفي عام ١٦١٠ سقط صريع خنجر (فرانسواد أفياك) وكانت جريمة الاخير ذات نزعة دينية فردية[١٩] .

---

١٨ - السيوطي - المصدر السابق الاشارة اليه - ص ٦٨٩ - ٦٩٥ .

١٩ - محمد عبد الله عنان المحامي - المصدر السابق الاشارة اليه .

المبحـــث الثـــالث
جرائم الاغتيال السياسي في العصر الحديث

مما لاشك فيه أن ظاهرة اللجوء الى العنف لتصفية الخصوم في العمل السياسي أو القضاء على حكام وزعماء هي قديمة ومستمرة ، الا انه من الملاحظ أن هذا الاسلوب أصبح أكثر شيوعاً في العصر الحديث وبالذات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما أنتشرت الأفكار الفوضوية والنهلستينة (العدمية) وهما حركتان سياسيتان أقرتا الاغتيال كأسلوب مشروع وفعال في تحقيق الاهداف السياسية ، وقد ذهب ضحية ذلك عدد من رؤساء الدول الاوربية والامريكية والاسيوية[٢٠] .

ومن الاسباب الاخرى التي أدت الى بروز ظاهرة الاغتيال السياسي وانتشارها في العصر الحديث هو النهضة العلمية والتكنلوجية التي قربت المسافات بين الامم والشعوب مما وسع في ذلك إحتدام الصراعات والخلافات وظهور الاحزاب والمنظمات السياسية المتعددة وانتشارها في جميع الدول . إضافة لقيام الوطنيين في الاقاليم المحتلة من قبل الاجنبي بخوض الصراع بكافة وسائله واشكاله ضد الاجنبي .

لقد إمتازت جرائم الاغتيال السياسي في العصر الحديث بتنوع الوسائل والاساليب المستخدمة في تحقيق النتيجة تبعا للتقدم والتطور التكنلوجي والعلمي وتعتبر حادثة إغتيال الارشيدوق (فرانز فردينالد) في سراجيفو إحدى أسباب قيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ . فعندما كان

---

٢٠ – د . عبد الوهاب الكيالي واخرون موسوعة السياسة – ص ٢١٧ تحت عنوان (اغتيال سياسي) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ١ ١٩٧٩ بيروت .

الارشيدوق يقوم بجولة تفتيشية باعتباره المفتش العام للجيش وراكبا عربة مكشوفة والى جانبه قرينته . قام بعض الطلاب الصربيين الذين كانوا ينادون بتحرير بلادهم من حكم الامبراطورية النمساوية بوضع خطة لاغتيال الارشيدوق عندما كان يسير بموكبه الرسمي عبر الشارع الرئيسي في (سراجيفو) فقد قام أحدهم برمي رمانة يدوية على العربة المكشوفة التي كان يستقلها الارشيدوق فأخطأت الهدف ومع فشل المحاولة واصرار الارشيدوق على متابعة طريقه الى قاعة الاستقبال المخصصة له في وسط المدينة ، وعند مسير السيارة في أحد المنعطفات أبصره أحد التلامذة ويدعىٰ (جلفر برنسيت) فأستشاره ذلك فقفز الى السيارة وصرع الارشيدوق باطلاقة واحدة من مسدس كان يحمله[٢١] .

وتعتبر هذه الحادثة أولى حوادث الاغتيالات السياسية المشهورة في القرن الحالي . وكانت إذاعة خبر الزيارة وتحديد خط مسيرها عامل مساعد لتنفيذ خطة الأغتيال فالمحاولة الأولىٰ كتب لها الفشل بسبب عدم الدقة في إصابة الهدف أما المحاولة الناجحة فقد كانت حينما خرجت السيارة التي تقل الارشيدوق عن خط سيرها في إحدىٰ الشوارع الفرعية نتيجة للفوضى التي دبت على أثر فشل المحاولة الاولىٰ مما مكن أحد الطلاب الذي كان يحمل السلاح من إنتهاز الفرصة والتنفيذ .

ويعتبر مصرع الزعيم الشيوعي الروسي (ليون تروتسكي) من أشهر الاغتيالات التي أحدثت إهتماماً عالميا واسعا ، والذي كان أحد القادة الذين صنعوا الثورة الشيوعية الى جانب لينين وستالين ، فبعد الخلافات التي نشبت بينه وبين ستالين وانصاره أُعتقل (تروتسكي) ونفي الىٰ سبريا ثم

---

٢١ - عمر الديراوي - الحرب العالمية الاولىٰ - عرض مصور - ص ١٤-١٥-١٦ .

أبعد من الاتحاد السوفيتي حيث إستقر في تركيا فترة واخرىٰ في النرويج ، وقد قبلت المكسيك لجوءه السياسي فيها واحاطته برقابة مشددة لحمايته ، ومن هناك راح تروتسكي يصب حملاته ضد ستالين وينتقد سياسته . وقد تمكن ستالين واجهزته الخاصة من دفع أحد العناصر للانضمام الى جماعة تروتسكي ويدعىٰ (فرانك جاكسون) الذي أخذ يبدي تحمساً لتعاليم تروتسكي حتىٰ أصبح مقرباً اليه ، وفي ذات يوم عندما كان تروتسكي جالساً يقرأ اليه مقالاً كتبه في مكتبه . شهر عليه فجأة ألة راضة مما تستخدم في تكسير الواح الثلج وانهال عليه طعناً الى أن فارق الحياة ، وقد تبين أن فرانك جاكسون كان ينتحل أسماء عديدة وأن إسمه الحقيقي كان (ميركادير) ويعمل عضوا في (الاجيو) وهو البوليس السري لستالين ، وقد أنعم الاتحاد السوفيتي على قاتل (تروتسكي) بوسام بطل الاتحاد السوفيتي[٢٢] . ومما يذكر أنه جرت عدة محاولات فاشلة لاغتيال تروتسكي قبل مصرعه حينما هجم عام ١٩٣٧ عشرون مسلحاً بالبنادق والقنابل على مسكنه ولم يتمكنوا من الظفر به وذلك بسبب حسن تحصين المسكن .

ولم ينسَ ستالين في تنفيذ الاغتيال بهذا الاسلوب أن يعمد الىٰ إنتهاج أسلوب آخر ، فقد كان يعتمد في الوصول الى الهدف من خلال كسب ثقته ، وترك مسألة التنفيذ حسب الظروف المتاحة ، وباستخدام أية وسيلة ممكنة تؤدي الى النتيجة وذلك من خلال التخطيط الدقيق والذكي[٢٣] . وقد ضربت الولايات المتحدة رقماً قياسياً في حوادث الاغتيالات

---

٢٢ - احمد حلمي ابراهيم (السفير) عظماء في مسيرة التاريخ ص ١٧٢-٢٠٤ - الناشر عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٦ .

٢٣ - ويبدو ان اجهزة المخابرات الايرانية قد استفادت من دراسة اسلوب اغتيال تروتسكي في تنفيذ عملية اغتيال الجنرال (بختيار) الذي كان لاجئا سياسياً في العراق .

السياسية لعديد من رؤسائها فقد أغتيل الرئيس أبراهام لنكولن عام ١٨٦٥ في مدينة واشنطن . عندما كان يحضر سهرة في أحد مسارح واشنطن عندما كان (جون ولكس بوث) وبيده بطاقة دخول - وطلب من الحارس إيصاله للرئيس لانه يحمل أنباء هامة يريد أبلاغها فوراً إليه فسمح له الحارس بالدخول واغلق الباب خلفه بكل هدوء . وماهي الا لحظات حتى كان الجاني يضع فوهة مسدس قريباً جداً من أذن لنكولن ويطلق عليه رصاصة أستقرت في رأس لنكولن ولما هم الحارس بالقبض عليه تمكن من طعنه بسكين في ذراعه وقفز مسرعاً من فوق سور الموقع الى خشبة المسرح وأسرع الى خارج المسرح وولى هارباً ، وبعدها تم التمكن من ملاحقته وصرعه أثناء المصادمة التي جرت معه عندما حاولت قوات الامن إعتقاله[٢٤] . كما شهدت الولايات المتحدة الامريكية إغتيال الرئيس الجمهوري (جيمس جار فليد) حينما أطلق عليه شخص الرصاص في مدينة واشنطن عام ١٨٨١ . كذلك مصرع الرئيس الجمهوري (وليام ماكنيللي) الذي تولى الرئاسة للمرة الثانية حيث أُطلقت عليه إطلاقة عام ١٩٠١ من قبل شخص يدعىٰ (ليون كزو لجوس)[٢٥] .

لم يثر أي أغتيال سياسي أراء ومقولات وغموض مثلما أثار أغتيال الرئيس الامريكي (جون كندي) . حيث أغتيل بيد رجل ماهر في الرماية في مدينة دالاس عام ١٩٦٣ عندما كان في جولة وهو في سيارته التي كانت تسير بسرعة ٢٠ ميلا في الساعة ويدعى القاتل (هار في لي أزولد) وهو يهودي الاصل فقد تمكن من أن يكمن في نافذة إحدى العمارات المطلة على

---

٢٤ - احمد حلمي ابراهيم (السفير) المصدر السابق الاشارة اليه ص ٧٧ .
٢٥ - عادل رضا - المصدر السابق الاشارة اليه - ص ٩٣ .

الشارع الذي كان يسير فيه موكب الرئيس (جون كندي) وان يستخدم إحدى البنادق ذات المواصفات الخاصة في إطلاق ثلاثة رصاصات أصابت إحداها الرئيس كندي في رأسه[٢٦] .

وكانت عملية إغتيال الرئيس (كندي) أولى الاغتيالات السياسية المشهورة التي تستخدم بها البندقية ذات المواصفات الخاصة .

وفي الهند يعتبر إغتيال المهتما غاندي من أبرز الاغتيالات السياسية فيها . فقد كان غاندي من عادته أن يصلي مع الجماهير كل مساء في الهواء الطلق وكان يجلس في مكان مرتفع قليلا في مواجهتهم . كما كان يسمح لكل من يريد أن يشترك في الصلاة من جميع الطوائف . ولم تكن هناك حماية شخصية له سوى الاحترام الشديد الذي تكنه له الجماهير التي كانت تتسابق الى لمس قدميه وهي عادة هندوسية . وفي أحد الايام وبينما كان يتوكأ على كتفي حفيدته واذا بشاب يندفع الى الامام وينحني ثم يركع أمام غاندي كما

---

٢٦ – وجدير بالذكر ان (هارفي لي اوزولد) (Ozwald Lee Harvey) قاتل الرئيس (كندي) كان قد عمل في الجيش الامريكي ثم فصل لسوء سلوكه حيث ذهب الى الاتحاد السوفيتي وقضى فيه فترة وتزوج من فتاة سوفيتية ولغرض طمس معالم هذه الجريمة فقد اقدم اليهودي (جاك رونشتاين) على اغتيال قاتل كندي بمسدسه . . .

عبد الجواد حمزة – مصرع كندي والصهيونية ص ٢٦ . ٣٢ .

كتب قومية الدار القومية القومية للطباعة والنشر القاهرة – سنة الطبع غير مذكورة . اخذت تتوافر الانباء الصحفية المختلفة عن الاسباب والدوافع التي تكمن وراء اغتيال الرئيس الامريكي جون كندي فقد قيل انه اغتيل بأيدي صهيونية . كما قيل ان وكالة المخابرات الاسبانية ابلغت المخابرات الامريكية ان اوزولد كان عميلا للمخابرات الكوبية التي كلفته بقتل كندي .

كما شهدت الولايات المتحدة الامريكية عدة حوادث اغتيال نذكر منها حادثة اغتيال الزعيم الزنجي مارتن لوثر كنج الذي لقي مصرعه برصاص رجل ابيض . كذلك اغتيل (روبرت كندي) في لوس انجلس في عام ١٩٦٨ برصاص شاب فلسطيني بسبب اعلانه انه عندما سيتسلم رئاسة الولايات المتحدة الامريكية (سيقف مع اسرائيل ويحميها من عدوان العرب) .

مجلة الوطن العربي السنة الاولى العدد ٤٤ الصادرة في كانون اول ١٩٧٧ باريس .

كان يركع إحتراماً . وصوب مسدساً أنطلقت منه ثلاث رصاصات أصابت صدر غاندي . وكان ذلك عام ١٩٤٨[٢٧] .

كما شهد الوطن العربي عديداً من الاغتيالات السياسية التي جرت في أوقات مختلفة مستهدفة أغراضا متنوعة .

فمن الاغتيالات السياسية البارزة في الوطن العربي هو إغتيال (الملك عبد الله) عام ١٩٥١ . الذي أُغتيل أمام باب المسجد الاقصى قبيل صلاة الفجر من قبل مصطفى شكري مهنته خياط والذي ينتمي الى إحدى المنظمات السياسية التي كانت على خلاف مع الملك عبد الله حيث كان القاتل مختبئاً وراء الباب داخل المسجد وقام باطلاق النار من مسدسه على الملك فأرداه قتيلاً في الحال[٢٨] .

كذلك أُغتيل رئيس الوزراء الاردني (وصفي التل) من قبل أربعة فدائيين فلسطينيين كمنوا له عند دخوله فندق (شيراتون) بالقاهرة وعندما هم صعود السلم المؤدي الى باب الفندق أُطلقت النار عليه . مما نجم عن ذلك مصرعه في الحال[٢٩] . ويبدو أن الفدائيين كانوا على بينة من تنقلات القتيل .

ومن الاغتيالات السياسية التي تجري في نطاق الاسرة الحاكمة كأن يتخلص ولي العهد من أبيه أو أحد أقاربه أو أن يتخلص أحد أقرباء الملوك من قريبه هو إغتيال الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ، حيث أُغتيل بيد إبن أخيه الامير فيصل بن مساعد ، حيث تمكن الامير القاتل من الدخول الىٰ مكان وجود الملك دون أن يخضع للتفتيش بحكم علاقة القربىٰ

---

٢٧ - احمد حلمي ابراهيم - المصدر السابق الاشارة اليه ص ٣٦٣ .

٢٨ - عادل رضا - المصدر السابق - ص ٦٩ .

٢٩ - عادل رضا - المصدر السابق - ص ١٨ .

التي تربطه . فتوجه نحوه واطلق عليه النار من مسدسه الذي كان يخفيه (٣٠) .

وفي جمهورية اليمن الشمالية اغتيل الرئيس (الغشمي) بتدبير من الرئيس اليماني الجنوبي سالم ربيع علي الذي استحدم الاساليب العلمية في تنفيذ العملية بإرساله مبعوثاً منه الى الرئيس (الغشمي) ولما همّ المبعوث الشخصي بفتح الحقيبة اليدوية التي كان يحملها امام الرئيس (الغشمي) انفجرت وقتلتهما في الحال . وكانت الحقيبة تحتوي على مواد متفجرة تنفلق عند فتح الحقيبة وتعتبر هذه الحادثة من اغرب حوادث الاغتيال السياسي حيث يقوم رئيس دولة بتنفيذها ضد رئيس دولة اخرى .

وفي العراق اغتيل الفريق بكر صدقي عام ١٩٣٧ الذي قاد انقلابا عسكريا . بينما كان في طريقه الى المانيا مرورا بتركيا (٣١) . حيث اغتيل في حديقة مطار الموصل من قبل العريف (نصر الله التلعفري) الذي حضر الى مطار الموصل بتحريض من بعض الضباط ليقوم بدور تقديم المرطبات . وكان يخبيء مسدساً تحت طبق المرطبات . وعند اقترابه من الفريق بكر صدقي اطلق رصاصتين على مؤخرة جمجمته قضتا على حياته (٣٢) . وكان

---

٣٠ - ومن الاغتيالات التي جرت في نطاق الاسرة الواحدة . هو اغتيال حاكم الشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي . حيث كان المحرض والمخطط لاغتياله الامير صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة السابق .

٣١ - د . فاضل البراك - دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١ - دراسة تحليلية ونقدية مقارنة للخلفيات الاجتماعية للقيادات السياسية والعسكرية - ص ١١٥ . بغداد الدار العربية للطباعة .

٣٢ - وكان الذين خططوا لاغتيال الفريق بكر صدقي . قد ارسلوا عدداً من عناصرهم الى مناطق عديدة من العراق من التي سيمر بها موكب الفريق بكر صدقي لاغتياله فلم يظفر به الا في مدينة الموصل . السيد عبد الرزاق الحسني - تاريخ الوزارات العراقية - ٤٧ ص ٣٤٥ الجزء الرابع - مطبعة دار الكتب - بيروت ١٩٧٤ .

اغتيال بكر صدقي من الاغتيالات المدبرة بكل دقة .

كما شهد العراق اغتيالات سياسية كانت ضد الحاكم الاجنبي . كإغتيال الكولونيل (لجمن) الحاكم السياسي البريطاني في البادية الغربية في مخفر (أبو منيصير) عام ١٩٢٠ من قبل الشيخ ضاري [٣٣] . واغتيال الكابتن مارشال الحاكم الانكليزي في مدينة النجف حيث دخل عليه الجناة وهم متنكرون بملابس الشبانة لتضليل الحراس وتمكنوا منه [٣٤] .

الاغتيالات السياسية في العقدين الأخيرين :-

تنوعت وتوسعت وسائل واساليب الاغتيالات السياسية وخاصة في العقد الاخير . واصبحت ظاهرة بارزة واستخدمت في بعض الاغتيالات الابتكارات العلمية فاذا كان المنفذون اعتمدوا في اغلب عمليات الاغتيال السياسي على استخدام الاسلحة النارية . فان وسيلة الاغتيال قد تطورت من رصاص الى الرسائل والطرود الملغومة والى استخدام التفجير بواسطة اللاسلكي عن بعد ففي عام ١٩٧٢ اغتيل الفلسطيني محمود الهمشري حيث قامت المخابرات الاسرائيلية بإخفاء شحنة مواد ناسفة تحت طاولة الهاتف في شقته تنفجر عندما يقوم أحد بالاتصال بهذا الهاتف . ولما رفع الهمشري سماعة الهاتف كان يغلق بذلك دائرة التشغيل الكهربائية مما سبب ذلك انفجار الشحنة التي كانت تزن ٢٠٠ غم مما ادى ذلك الى وفاته [٣٥] .

---

٣٣ – عبد الحميد العلوجي – عزيز جاسم الحجية – الشيخ ضاري – قاتل الكولونيل لجمن في خان النقطة . مطبعة اسعد – بغداد – ١٩٦٨ . كذلك د . علي الوردي – لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج ٥ ص ١٦–٦٧–٦٨ مطبعة الاديب البغدادية – ١٩٧٨ .

٣٤ – د . علي الوردي – المصدر السابق الاشارة اليه – ص ٢١٩ .

٣٥ – أ . ل . هانتر – ملف كارلوس والارهاب الدولي – ص ١٣ مسحوب على الة الرونيو – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد – مركز الدراسات الفلسطينية رقم ٤ لسنة ١٩٧٦ .

كذلك اغتيل ابو حسن سلامة وهو المسؤول الامني لمنظمة فتح بواسطة التفجير بالاسلكي . حيث انفجرت شحنة من المتفجرات داخل سيارة كانت واقفة في طريقه وادى ذلك الى وفاته في الحال[٣٦] . وقد استمر مسلسل الاغتيال السياسي ، ويشمل شخصيات سياسية عديدة سواء اغتيلت في بلدها او طوردت الى البلدان التي لجأت اليها ومن الأمثلة على ذلك اغتيال كمال جنبلاط رئيس المجلس المركزي للحركة الوطنية اللبنانية . والرفيق موسى شعيب عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان وكذلك نقيب الصحافيين اللبنانيين الاستاذ رياض طه وكما اغتيل في باريس الاستاذ صلاح الدين البيطار .

وجميع الدلائل تشير الى قيام اجهزة النظام المرتد في سوريا بتنفيذ هذه الاغتيالات . كما اغتيل في باريس العالم الذري المصري يحيى المشد من قبل المخابرات الاسرائيلية في محاولة منها لعرقلة مساعي القطر العراقي لاستخدام

---

٣٦ – هناك نوعان من التفجيرات اللاسلكية . وهما التفجير اللاسلكي دون مراقب أو التفجير التلقائي . وهو الاكثر تطورا وتتم هذه العملية بوضع جهاز ارسال صغير جداً يبلغ حجمه احياناً حجم حبة الفاصوليا او اصغر في السيارة المراد تفجيرها .
وقد يكون هذا الجهاز الدقيق مغناطيسيا بحيث يلتصق على السيارة ثم توضع سيارة اخرى مفخخة في مكان ما بحيث يكون المخططون على علم بمرور الشخصية المراد اغتيالها من هذا المكان وبمجرد وصول السيارة التي تحوي الجهاز اللاسلكي الدقيق الى محاذاة السيارة المفخخة حتى يتم التفجير اللاسلكي بصورة تلقائية دون ان يكون هناك اي شخص مراقب او شاغل للجهاز . وهذه العملية لا تخطئ . اما النوع الثاني وهو الأقل تطوراً يقضي في ان توضع سيارة مفخخة بمكان يكون المخططون على علم بمرور الشخصية المراد اغتيالها في هذا المكان ويكون هؤلاء المخططون ايضاً على علم بوجود جهاز لاقط لاسلكي داخل سيارة هذه الشخصية . وتفترض العملية وجود مراقب يشرف على عملية التفجير من مسافة معينة قد تكون شرفة او سطحاً او نافذة وبمجرد مرور سيارة الهدف بمحاذاة السيارة المفخخة حتى يقوم المراقب بتحريك الجهاز الذي يعمل على الموجة ذاتها وفي الحال تنفجر السيارة المفخخة . وعملية التفجير هذه قد تخطئ احياناً . مقال بعنوان مصائد الموت منشور في مجلة الجمهور العدد ١٢٩٨ الصادرة في باريس في آذار ١٩٨٠ .

الطاقة الذرية للأغراض السلمية .

ومن الاغتيالات السياسية المثيرة بالآونة الاخيرة هي اغتيال محمد علي رجائي رئيس جمهورية ايران مع رئيس وزرائه (بهونار) واغتيال الخائن انور السادات .

فاغتيال رئيس الجمهورية الايرانية ورئيس وزرائه تم بوضع المتفجرات الموقوته عند اجتماع لجنة الأمن القومي . والتي انفجرت اثناء عقد الاجتماع وأدت الى مصرع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء في الحال . وكان الفاعلون على معرفة مسبقة بمكان وزمان الاجتماع مما سهل لهم ذلك احكام عملية توقيت المفجر . وقيل ان وضع المتفجرات كانت بتدبير من سكرتير مجلس الأمن الذي كانت له صلات مع المعارضة الايرانية .

اما اغتيال الرئيس المصري انور السادات فهو يعد من الاغتيالات السياسية المدبرة بكل دقة . فمستوى التنفيذ كان مدهشاً ودقيقاً وان كفاءة المهاجمين كانت بمستوى عالي . فقد تسلّل المنفذون الى الاستعراض العسكري واستخدموا احدى العربات المستعرضة بشكل لا يجلب الشك وادخلوا الاسلحة والذخائر معهم بالرغم من خضوع الاسلحة ووسائط النقل المستخدمة في الاستعراض الى التفتيش قبل بدء العرض . كما تمكنوا من وضع السيارة التي استقلوها في الترتيب الاستعراضي الذي يمكنهم من المرور من منصة الاستعراض التي كان يجلس فيها السادات .

كما استخدم المهاجمون في اداء عملية الاغتيال نفس الاسلوب العسكري المتبع في مهاجمة اقتحام المواقع الحصينة ، فهم استخدموا رمانتين يدويتين هجوميتين وصوبوها الى مؤخرة المنصة وتمكنوا من عزل الحرس الخاص لحماية السادات ثم بدأوا بإستخدام الاسلحة الخفيفة (البندقية الكلاشنكوف) بعد ذلك وكان احدهم مكلفاً بصورة خاصة

لمعالجة السادات حيث نجح في التقرب منه مسافة ثلاثة امتار وتمكن من اصابته بخمسة اطلاقات . وبعدها قذفوا قنبلة اخرى وتراجعوا .

امتازت هذه العملية بدقة التنفيذ واستغلال الوقت الملائم الذي ساعد على نجاح العملية . كما ان البطأ في رد الفعل الذي اتسمت به مجموعة الحماية المكلفة بحماية السادات هي الاخرى ساعدت المهاجمين من تحقيق هدفهم بسرعة . ومن الممكن القول ان رد فعل الحماية كان معدوماً .

ان فكرة مهاجمة الهدف بتخطيط وتدبير مسبق واستغلال (الاستعراضات العسكرية) ليست هي بالفكرة الجديدة . ففي العراق خطط الضباط الاحرار لاغتيال الملك فيصل الثاني والأمير عبدالاله ونوري السعيد عند حضورهما الاستعراض العسكري الذي يجري بيوم الجيش في ٦ كانون الثاني ١٩٥٨ ، وذلك بإستخدام بعض الوحدات العسكرية المشتركة بالاستعراض اضافة الى الوحدات الاخرى الموالية للثوار الموجودة في معسكر الرشيد . ويبدأ تنفيذ الثورة بقيام عدد من الدبابات المستعرضة بفتح النار على المنصة التي يقف عليها الملك وعبدالاله ورئيس الوزراء وذلك عند مرورها من امامها خلال قيامها بالاستعراض ، وفي نفس الوقت تقوم الوحدات الاخرى الموالية للحركة بالواجبات التي ستعهد اليها . ولكن الاكثرية من الضباط الاحرار عارضت هذه الخطة وذلك للخطر الذي سيهدد ارواح الكثير من الابرياء الذين جاءوا لمشاهدة الاستعراض كما انه من غير الأكيد ان النيران التي ستفتحها الدبابات ستصيب اهدافها بدقة [٣٧] .

---

٣٧ – محسن حسين الحبيب– حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق ص ٧٠ دار الأندلس ط ١ بيروت ١٩٨١ .

مصـــادر البحث

١ - محمد عبد الله عناد (المحامي) تاريخ المؤمرات السياسية وتطوراتها الاجتماعية ادارة الهلال بمصر ١٩٢٨ .

٢ - عباس محمود العقاد - موسوعة عباس العقاد الاسلامية العبقريات الاسلامية دار الكتاب العربي لبنان ١٩٧١ .

٣ - السيوطي - تاريخ الخلفاء تحقيق محمد أبو الفضل دار نهضة مصر القاهرة سنة الطبع غير مذكورة .

٤ - د . محمود اسماعيل - الحركات السرية في الاسلام دار القلم بيروت ١٩٧٣ .

٥ - الزمخشري - كتاب خصائص العشرة الكرام البررة . د . بهيجة الحسني وزارة الثقافة والاعلام - سلسلة كتب التراث - بغداد ١٩٦٨ .

٦ - د . علي حسين الخربوطلي - عشر ثورات في الاسلام دار الأدب - بيروت ١٩٧٨ .

٧ - المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجواهر ج ٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٩٦٧ .

٨ - الطبري - تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر - ١٩٦٨ .

٩ - عادل رضا - وصفي التل القاتل والقتيل - دار هيرودت - القاهرة - ١٩٧٢ .

١٠ - سفر الملوك - الاصحاح ١٩ : ٣٧ .

١١ - د . عبد الوهاب الكيالي واخرون - موسوعة السياسة - المؤسسة

العربية للدراسات والنشر - الطبعة الاولى - بيروت - ١٩٧٩ .

١٢ - عمر الديراوي - الحرب العالمية الاولى - عرض مصور - دار العلم للملايين الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٧٧ .

١٣ - أحمد حلمي ابراهيم (السفير) - عظماء في مسيرة التاريخ - الناشر عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٦ .

١٤ - عبد الجواد حمزة - مصرع كندي والصهيونية - كتب قومية - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - سنة الطبع غير مذكورة .

١٥ - د . فاضل البراك - دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا . عام ١٩٤١ - الدار العربية للطباعة - بغداد - ١٩٧٩ .

١٦ - عبد الرزاق الحسني - تاريخ الوزارات العراقية - الجزء الرابع - مطبعة دار الكتب - بيروت - ١٩٧٤ .

١٧ - عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجية - الشيخ ضاري قاتل الكولونيل لجمن في خان النقطة - مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٦٨ .

١٨ - د . علي الوردي - لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث - الجزء الخامس - مطبعة الأديب البغدادية - ١٩٧٨ .

١٩ - أ . ل . هانتر - ملف كارلوس والارهاب الدولي - صادر عن جامعة بغداد - مركز الدراسات الفلسفية - مسحوبة على ألة الرونيو - ١٩٧٦ .

٢٠ - مجلة الوطن العربي العدد ٤٤ السنة الاولى الصادرة في باريس في كانون أول ١٩٧٧ .

٢١ - مقال بعنوان (مصائد الموت) منشور في مجلة الجمهور الصادرة في باريس العدد ١٢٩٨ - أذار ١٩٨٠ .

٢٢ – محسن حسين الحبيب – حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق – دار الاندلس ط ١ – بيروت – ١٩٨١ .

٢٣ – Peua Le Repression Des Crimes Contre La Personnalite De L'etat n–41.

٢٤ – 42– D.J. Wiseman. Merder in Mesopotamia Iraq. P. 254–36 1974.

٢٥ – 52– H.W. F saggs. The Creatness That Was Babylon. London 1961. P. 123.

٢٦ – Carraud. P. Droit Penal Fran ais. t. 3(Paris. 1916).

٢٧ – Encyclopaedia Brittanica P. 679.



الفصل الثالث

التبشير الاجنبي في العراق

تقسيم

ان الفترة موضوع هذه الدراسة الموجزة هي تلك الممتدة بين عام (١٦٣٢م) وهو تاريخ وصول اول بعثة تبشيرية الى مدينة الموصل وبين عام (١٨٥٤م) . لذا سنقسم البحث الى تمهيد وهو يتضمن البدايات التبشيرية في العراق بصورة خاصة . بعد ذلك نبدأ بالفصل الاول الذي يتضمن بداية النشاط التبشيري في الموصل بصورة خاصة الذي كان في مرحلته الاولى (١٦١٢-١٨١٥م) .

اما الفصل الثاني فقد احتوى نشاطهم وكذلك نشاط القنصليات الاجنبية في الموصل في المرحلة المحصورة بين عام (١٨١٥-١٨٤٠م) .

اما المرحلة الثالثة وهي الممتدة بين (١٨٤٠-١٨٥٤م) فهي تلك الفترة التي قطع النشاط التبشيري شوطاً كبيراً للوصول الى اهدافه وتوسعت اعماله . لذا فقد احتواها الفصل الثالث .

تمهيد :

البدايات التبشيرية الاجنبية في العراق

كانت اول ما تخشاه بريطانيا هو التغلغل الفرنسي في العراق الذي أخذ يتفوق على النفوذ البريطاني ، حيث نجحت فرنسا باستخدام العامل الديني وتركيز نشاطها من خلال البعثات التبشيرية الكاثوليكية التي اخذت تنتشر وتتوزع في العراق وخاصة في المدن المهمة كبغداد والموصل والبصرة ، فقد حملت فرنسا بالمشرق لواء الكثلكة لتحارب به عدوتها بريطانيا الانجليكانية المذهب . وكانت السلطات البريطانية تعتقد بأنه عندما تنهار الدولة العثمانية ستجد فرنسا في كاثوليك العراق قوة تعينها على وضع يدها على اكبر رقعة

ممكنة من البلاد .

قاومت بريطانيا النفوذ الفرنسي[1] في العراق وبالتالي قاومت انتشار المذهب الكاثوليكي بالطرق الدبلوماسية بواسطة قناصلها السياسيين اولاً . ولما كان هذا النوع من المقاومة غير مؤثر ، لجأت الى سلاح آخر هو محاربة النفوذ التبشيري الفرنسي بنفوذ تبشيري بروتستانتي لغرض السيطرة على المسيحيين في العراق ، وباستخدام حركة دينية مضادة لها . تعمل بنفس الأسلوب في التحرك بين المسيحيين العراقيين . بدأ المبشرون الانكليكان (الانكليز)[2] ، يظهرون في العراق منذ العشرينات في القرن التاسع عشر ، وكان جروفرز(Grovres) أول مبشر بروتستانتي يصل العراق (١٨٢٩م) . ولم يقابل وصوله اي اعتراض من قبل السلطات الحاكمة ولا من جانب الهيئات الشعبية . وسمح له ببيع الانجيل وبفتح مدرسة بروتستانتية في بغداد[3] . وكان من الطبيعي ان تتسع دائرة معارف جروفرز بسرعة نظراً لأن المقيمية البريطانية في بغداد احتضنته ، فهو مبشر إنكليزي بروتستانتي وهذا مالم يكن متوفراً لها من قبل ، ووفاق

---

١ - ان اول القنصليات الاجنبية واقدمها في العراق هي القنصلية الفرنسية . حيث كان المسؤولون عنها يقيمون بادئ ذي بدء في البصرة . فقد رخصت الحكومة العثمانية عام ١٦٧٣ م في تسمية رئيس المبشرين (المرسلين) في البصرة قنصلاً لها . فعين رئيس الرهبان الكرمليين في البصرة قنصلاً وكان ينوب عن الآباء الكبوشيين في بغداد . واستمر اولئك الرؤساء ممثلين للدولة الفرنسية في البصرة وبغداد . وبقيت هذه الحالة حتى سنة ١٧٣٠ م حيث تم تسمية السيد عمانوئيل بيله (EM – Baylet) الكرملي مطران بغداد قنصلاً عاماً للدولة الفرنسية ومن قبل لويس الخامس عشر .

اسحق ارملة الطائفية السريانية والقنصلية الفرنسية في بغداد ص ١٠١ مقال منشور في مجلة المشرق العدد ٢٤ لسنة ١٩٢٦ بيروت .

٢ - الانكليكان : فرع من البروتستانت ويختلفون عنهم بالرئاسة التي يحتفظ بها الملك والملكة وهم محصنون في انكلترا .

٣ - ابراهيم خليل احمد - الاستشراق والتبشير وصلتها بالامبريالية العالمية - ص ٤٣ - مكتبة الوعي العربي - القاهرة .

نشاطه حدود بغداد فوصل الى حلب وماردين والموصل وبوشهر في ايران ، واصبحت حلقات اتصالاته واسعة كما كانت آماله كبيرة في فتح مدرسة في الموصل [٤] .

احرزت البعثات التبشيرية البروتستانتية نجاحاً في وجه مقاومة كاثوليكية عنيفة في الشام لدرجة ازعجت السلطات البابوية في روما وطالبت من مبشريها بمضاعفة المجهودات لمقاومة النشاط البروتستانتي الانكليزي الذي كان مدعوماً بمباركة امريكا البروتستانتية ايضاً ، ولكن سرعان ما اشتبك (جروفرز) مع رجال الدين الكاثوليك في العراق متهماً اياهم بالتعاون مع بعض الشيوخ المسلمين في عرقلة نشاطه ، وأخذ يشوه سمعة الكاثوليك فكان يردد ان الفرنسيين هم اعداء المسلمين الحقيقيين مدللاً على قوله هذا بما كان يقترفه الفرنسيون من آثام ضد المسلمين في الجزائر ، بينما كان هو نفسه يدعو الى وضع الجيش في العراق تحت قيادة إنكليزية تمهيداً للسيطرة على البلاد [٥] .

ولم يستطيع هذا الرجل ان يتابع نشاطه في العراق بسبب الطاعون والفيضان اللذين دمرا البلاد فاضطر الى مغادرة العراق الى الهند عام (١٨٣٠ م) . وكان الوقت يتطلب إرسال المزيد من المبشرين البروتستانت لخلق جماعات بروتستانتية في العراق تعتمد عليها بريطانيا في الدفاع عن مشاريعها الاستعمارية ، فقد حاولت بريطانيا ان تضع يدها على طريق المواصلات الثاني (العراق) الذي بين الشرق والغرب . بينما كانت البواخر البريطانية المسلحة تهبط في نهر الفرات لغرض اجراء المسوحات فيه لبيان مدى صلاحيته للملاحة بين البصرة وسوريا لغرض نقل البريد الوارد من الهند بواسطته الى اوربا لاقتصار الطريق ، كان مبشر إنكليزي بروتستانتي آخر ينزل البصرة هو (صموئيل) ولا يكاد يطاء أرض العراق حتى أخذ يوزع الكتب

---

٤ - د . عبدالعزيز ابو نوار- داود باشا والي بغداد - ص ١٣٥ - دار الكتاب العربي القاهرة ٦٨ .

٥ - د . عبدالعزيز ابو نوار - المصدر السابق ص ٣٠٧ .

التبشيرية البروتستانتية في الطرقات والأسواق على المسلمين والمسيحيين واليهود . وأخذ يحادث الناس ويجادلهم في عقائدهم بصلف وبدون لياقة . الأمر الذي أثار المسلمين وغيرهم في بغداد . وأخذ أهالي بغداد يربطون بين وصوله وبين البواخر البريطانية المسلحة التي كانت تمخر نهر الفرات كجزء من مخطط عام لاحتلال العراق . وأخرج الانكليز (صوئيل) من العراق خشية من عواقب بقائه ، وهنا عمل الانكليز على جعل المشكلة عبارة عن مشكلة فردية تتعلق بشخص صموئيل وسلوكه ، والقوا اللوم عليه . وأسرعوا باخراجه من العراق ، ولم يكد يغادر العراق حتى كانت كتبه تملأ نهر دجلة[٦] .

اما منطقة البصرة والخليج العربي فقد حظيت هذه المنطقة باهتمام مباشر من قبل المبشرين الامريكان . ففي ١٨٨٩م تأسست الارسالية بزعامة المبشرَين الامريكيَيْن جيمس كانتين (J. Cantine) وصوئيل زويمر (S.M. Zwemer) . وفي عام ١٨٩١ افتتحت الارسالية اول مركز تبشيري لها في البصرة لكونها اكبر وأهم ميناء في شرقي الجزيرة العربية . ومن مركزها في البصرة وسعت الارسالية نشاطها الى المناطق المجاورة في الخليج العربي ففي عام ١٨٩٣ افتتحت الارسالية فرعين لها ، اولها في البحرين والثاني في مسقط . كما قام بائعو الكتب الدينية التابعون للارسالية بزيارات متعددة لكل المناطق الواقعة على الساحل الغربي من الخليج العربي وخلال السنوات الاولى من القرن الحالي حققت الارسالية توسعاً ملموساً في نشاطها التبشيري في المنطقة . في خريف ١٩٠٢ وصل البصرة المبشر المعروف الدكتور جون فان أيس (John Von Ess) الذي إفتتح مدرسة الرجاء العالي فيها سنة ١٩١٠ وفي السنة نفسها أنشأت قرينته المدرسة الامريكية للبنات في البصرة ايضاً وبعد الاحتلال

---

٦ - ابراهيم خليل احمد - الاستشراق والتبشير وصلتها بالامبريالية العالمية مكتبة الوعي العربي - ص ٤٥ .

البريطاني للبصرة خلال الحرب العالمية الاولى تسلمت هاتان المدرستان معونات مالية من سلطات الاحتلال (٧) .

المـــرحلة الاولى

١٦١٢ - ١٨١٥

لم يكن في العراق حتى قبل القرن السادس عشر سوى مذهبين دينيين مسيحيين هما النساطرة والسريان الارثذوكس (اليعاقبة) (٨) الا ان الكنيسة

---

٧ - د . خليل علي مراد - تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي ص ٢١ مطبعة جامعة البصرة البصرة ١٩٨٠ .

٨ - يمثل النساطرة الكنيسة المسيحية التي نشأت في بلاد ما بين النهرين منذ القرن الميلادي الاول . واخذ تنظيمها الاداري شكله النهائي في مستهل القرن الخامس الميلادي . إذ اجتمع اساقفتها سنة ٤١٠م في ساليق (المدائن) . واقروا بان اسقف هذه المدينة هو الرئيس الاعلى لكنيسة المشرق وأطلق عليه اسم الجاثليق اي البطريرك (راجع شابو . المجامع الشرقية . باريس ١٩٠٢م ، النص السرياني ص ٢٦-٢٧ . الترجمة الفرنسية ص ٢٦٦) .
ولاسباب عديدة . تبنّت هذه الكنيسة المذهب النسطوري في اجتماع عقده اساقفتها سنة ٤٨٤م في بيت لفاط (راجع ادي شير . تاريخ كلدو واثور . الجزء الثاني ص ١٤١ . ١٤٣) . وتنتسب النسطورية الى نسطور بطريرك القسطنطينية (٤٢٨-٤٣٠م) الذي قال بأن للسيد المسيح اقنومان : اقنوم الهي والآخر بشري . وطبيعتان : طبيعة الهية والاخرى انسانية . وقد وجد هذا المذهب اتباعا كثيرين له في سوريا وفلسطين وجزيرة قبرص والهند والصين . بالاضافة الى بلاد ما بين النهرين . اما (اليعقوبية) التي هي على نقيض مع النسطورية وقد حاربتها ، تعترف بأن للسيد المسيح إقنوم واحد وطبيعة واحدة متحدة في طبيعتين الهية وبشرية . ماتيفيف - المسألة الآشورية اثناء وبعد الحرب العالمية الاولى .
كذلك اغناطيوس يعقوب الثالث (البطريرك) - الكنيسة السريانية الانطاكية الارثذوكسية ص ٢١- دمشق- ١٩٧٤ . كذلك فيليب دي طرزاي - السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية ص ١٣٥ المطبعة الادبية بيروت ١٩١٠ كذلك لومون مختصر تواريخ الكنيسة ترجمة يوسف داود (الخوري) ص ٢٥٢ مطبعة الآباء الدومنيكين - الموصل ١٨٨٣ .
كذلك أدي شير تاريخ كلدو وآشور ص ١٣١ الجزء الثاني المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٢ .

الغربية اللاتينية ارادت ان يكون لها نفوذ في الشرق فأرسلت لهذه الغاية بعثات تبشيرية اولاً في لبنان ثم في حلب . ومن حلب كانت تنطلق الارساليات الى الشرق اي الى العراق وايران والهند منذ اواسط القرن السابع عشر . ومن ذلك إرسالية الآباء (الكرمليين) الذين كانوا يزورون الموصل وهم في طريقهم الى ايران وبغداد[٩] وأسسوا لهم مركز في بغداد عام ١٧٣١م ومازال قائماً . وقد كان الكرمليون قد قدموا في وقت سابق الى البصرة من ايران سنة ١٦٢٣م يتقدمهم باسيليوس البرتغالي حيث سعوا في اول الامر الى (هداية) الصابئة . ثم امتد نشاطهم التبشيري الى بغداد والهند . وكان اول مطران لاتيني في بغداد منهم سنة ١٦٢٨ بأسم (مطران بابل واصفهان) . وإرسالية الرهبان الكبوشيين الذين تركزوا اولاً في بغداد (عام ١٦٢٨م) وقد إستطاع هؤلاء بمساعدة البعثات الدبلوماسية الاجنبية وبخاصة الفرنسية ، ان يجذبوا بعض الافراد المسيحيين الى مذهبهم عن طريق الاغراء بالوظائف وبالمساعدات المالية . في عام ١٦٢٦م قصد بغداد ثلاث رهبان كبوشيين واستحصلوا الموافقة على تشييد منزل ومصلى لقضاء فروضهم الدينية بمساعي الدولة الفرنسية ، وأخذوا يدرسون اللغة العربية والتركية والفارسية ، ويرشدون المسيحيين في بغداد ويوجهونهم نحو المذهب (الكاثوليكي) . وكان السريان اول المنضمين لهم . وتمكنوا كذلك من جذب زهاء سبعين عائلة نسطورية الى مذهبهم ، ولم يكتف المبشرون الكبوشيون بذلك بل أنشأوا مدرسة إبتدائية إنتسب اليها نحو خمسة وعشرون طالباً أخذوا عنهم العلوم الدينية وغدوا قدوة لأقرانهم في نشر الكثلكة[١٠] .

---

٩ - لومون المصدر السابق ص ٦٢٥ .

١٠



وقد نجح الكبوشيون في إقامة مركز لهم في الموصل وتأسست فيها أول رسالة تبشيرية أجنبية من (الكبوشيين)[١١] . وذلك سنة ١٦٣٢ بأمر من مجمع انتشار الايمان في روما[١٢] بغية (هداية) النساطرة العراقيين من مذهبهم الشرقي الى المذهب الكاثوليكي الغربي . وكان أول المبشرين الذين وصلوا الى الموصل من الكبوشيين هم من ايطاليا . يتقدمهم الاب (حنا) رئيس الكبوشيين في بغداد . والأب (جورج) الذي كان يمارس مهنة الطبابة وأنشأوا لهم مركز مطلاً على نهر دجلة بالقرب من الكنيسة المعروفة اليوم بأسم (مار اشعيا) في محلة (رأس الكور) واثناء وجودهم في الموصل باشروا أول الامر نشاطاًطبياً . حيث كان يغص بيتهم (الذي أستأجروه من احد رجال الدين المسيحيين السريان) بالمرضى الذين كانوا يطلبون العلاج والشفاء من الامراض . وبعد ان وطدوا امورهم باقامة العلاقات مع المسؤولين مستغلين مهنة الطبابة التي كانت تشكو الموصل من قلة من له اطلاع بها . بدؤا التبشير بين صفوف المسيحيين العراقيين[١٣] .

وتمكن هؤلاء المبشرون من التأثير اول الأمر على البطريرك النسطوري ايليا التاسع الذي اعلن خضوعه للفاتيكان واعتناقه المذهب الكاثوليكي .

---

١١ - الكبوشيون هم فرع من الرهبانية التي اسسها القديس فرنسيس الاسيزي . قدموا الى الشرق منذ القرن السابع عشر وشيدوا الأديرة والمدارس . والمدن التي استقروا فيها وباشروا فيها نشاطهم التبشيري هي القاهرة (١٦٢٥م) وحلب (١٦٢٦م) وبيروت وبغداد (١٦٢٨م) وطرابلس (١٦٢٩م) .

١٢ - انشأ مجمع انتشار الايمان (البروبغندا) في روما عام ١٦٢٢م بأمر من البابا غريغوريوس الخامس عشر . ثم الحقت به مدرسة في عهد البابا أربانس الثامن غايتها تخريج رجال دين يبشرون بالمذهب الكاثوليكي بين الطوائف البعيدة عن روما . ولاسيما الطوائف المستقلة .

فيليب دي طرزاي- السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية المصدر السابق ص ٣١ .

١٣ - سعد ابراهيم الاعظمي - الاقليات القومية والدينية وتأثيرها على الواقع السياسي والاجتماعي في محافظة نينوى ص ٦٠ مديرية الأمن العامة مركز التطوير الأمني بغداد ١٩٨٢ .

واستفاد المبشرون الكبوشيون من ان احدهم كان في بغداد ممثلاً لفرنسا آنذاك . الأمر الذي كان يجعلهم في وضع أفضل ويساعدهم الى حد ما في الوقوف بوجه الولاة العثمانيين الذين كان البعض منهم لا يخفي عدم ارتياحه منهم . الا ان علاقة الكبوشيين بالدولة العثمانية اعتراها التدهور نتيجة سوء العلاقات التركية– الفرنسية . فاغلقت دارهم في بغداد عام (١٧٠١م) . واعقبها إغلاق مركزهم في الموصل عام (١٧٠٢م) .

وقد إستغل النساطرة العراقيون سوء العلاقة هذه ونهبوا مركزهم وفتكوا بالأب بطرس إيشو دون (P.P. ISSOU DUN)[١٤] .

بذلك تمكن الكبوشيون من تكوين اول نواة كاثوليكية في مدينة الموصل من النساطرة الذين أُطلق عليهم فيما بعد تسمية (الكلدان) .

وممن سعى بفتح الرسالة الدومنيكية في الموصل القس خدر الموصلي الذي كان نسطورياً واعتنق المذهب الكاثوليكي وهرب من الموصل الى روما خوفاً من بطش النساطرة وانتقامهم منه . وقد بذل جهده لارجاع الرسالة الكبوشية التي اغلقت في الموصل . ولما لم ينجح في مشروعه تضرع الى البابا (بندكتس الرابع عشر) ليعين الآباء الدومنيكان . فكانت اول المشاكل التي تعيق نجاح عمل هذه الارسالية هي ان الدولة الفرنسية لم تكن لها سلطة حماية في العراق على المرسلين الكبوشيين والكرمليين . الا ان البابا لبى طلب القس خدر وأمر بأنشاء الرسالة الدومنيكية سنة ١٧٥٠م[١٥] حيث وصلت الموصل انذاك اهم بعثة تبشيرية من الآباء

---

١٤ – اوجين تسران (الكردينال) – خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ص ١٧٧ ترجمة سليمان صائغ (القس) الموصل ١٩٣٩ .

١٥ – بطرس نصري الكلداني– ذخيرة الاذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان– مطبعة الآباء الدومنيكان الموصل المصدر السابق ص ٢١٨ .

الدومنيكان[16] .

وكان اول من افتتح الرسالة الدومنيكية في الموصل الاب فرنسيس طورياني والاب عبد الاحد القودبلونيقي . قدما الى الموصل حفاة ونزلا في بيت الحلبي وقد اكتسب هؤلاء شهرة من خلال ممارستهم الطبابه . حيث استفادوا كثيرا من صداقتهم مع بهرام باشا حاكم اقليم البهدنان المشتمل على قضاء العمادية وزاخو ودهوك وعقرة والزيبار والبرواريه انذاك . الذي كان قد اعياه المرض . فلما علم بوجود الاب فرنسيس طورياني كطبيب بارز في الموصل استدعاه لمعالجته واستغل الاباء الدومنيكان حاجة حاكم العمادية اليهم واستحصلوا على موافقته لاقامة رسالة في العمادية بصورة دائمية ترتبط برسالة الموصل وذلك (لهداية) النساطره المنتشرين في منطقة العمادية وزاخو ودهوك الى المذهب الكاثوليكي وقد تولى الاب عبد الاحد امر هذه الرسالة الجديدة في العمادية واتخذت احد اديرة النساطرة مقرا لها في (الداوديَّة) بعد ان طردوا النساطرة منه ، وقد اوقع المبشرون بين الوالي بهرام باشا وبين البطريرك النسطوري الذي اخذ يفقد علاقته الحسنة مع الوالي تدريجيا بتأثير من الآباء الدومنيكان . وبالتالي فقد استفاد الاباء الدومنيكان كثيرا من صداقتهم مع بهرام باشا ، ليس من الناحية المادية لرسالتهم وحسب ، بل

---

١٦ – الاباء الدومنيكان – يطلق عليهم تسمية (الاخوه الوعاظ) هدفها الاساسي هو الوعظ (كما قيل) وهي رهبنة أسسها (القديس) عبد الاحد سنة ١٢١٥ . يرأس هذه الرهبنه رئيس عام يطلق عليه أسم (المعلم العام) وينتخب من قبل ممثلي المناطق أو البلدان التي فيها رئيس أقليمي كما لكل دير رئيس . ينتشر الاباء الدومنيكان في العالم . ولهذه الرهبنه فرع نسائي ويرتدي جميع الرهبان المنتمين الى هذه الرهبنه اللباس الابيض .

واكثر من ذلك بسبب نشر المذهب الكاثوليكي في تلك المنطقة [١٧] .
وأخذ حاكم العمادية يحسن الى الدومنيكان ويحث النساطرة الخاضعين له على تقبل المذهب الكاثوليكي . فأنتشرت الكثلكه في تلك المنطقة ، حتى أغلق مركزهم في العمادية سنة ١٨٠٠ لقلة فعاليتهم فيما بعد [١٨] .

انتشرت (الكثلكه) في الموصل وضواحيها . ويمكن القول بأن عهد حكام الموصل الجليليين . (ال عبد الجليل) كان فترة تقدم مستمر لحركة التبشير الكاثوليكي في الموصل وشمال العراق . وكان بنفس الوقت عهد تعاون تام بين النصارى والاسلام . وكان مبعث ذلك استبسال المسيحيين العراقيين اثناء حصار نادرشاه للموصل ووقوفهم جنبا الى جنب مع المسلمين ابناء وطنهم في شرف الدفاع عنه في وجه القوات الايرانية المعتديه [١٩] .

الا انه رغم الالفة والمحبه الموجودة بين المسيحيين والمسلمين ، فقد كانت العلاقة متوترة بين المسيحين انفسهم . وخاصة بين النساطرة وبين الاباء الدومنيكان ومن اعتنق المذهب الكاثوليكي على ايديهم من الساطرة (المهتدين) . فقد كان الاباء الدومنيكان يطلقون تسمية (الهراطقة) على النساطره العراقيين . وهكذا عمل الاباء الدومنيكان على بذر روح الكراهية

---

١٧ - Grand Larousse Encyclopedique, Vo14 ME175 E

COORMACHTICH , FR. BERNARD MARIE Histoire de la Mission Dominicaine en Misopotamie et en Kurdistan, Rome 1896.

١٨ - أوجين تيسران - المصدر السابق - ص ١٧٩ .

١٩ - عماد عبد السلام رؤوف - الموصل في العهد العثماني - ص ٣٣٠ - مطبعة الاداب النجف - ١٩٧٥ .

بين ابناء الوطن الواحد[٢٠] .

وكان الاباء الدومنيكان يغدقون المبالغ الطائلة في سبيل كثلكة النساطره وترغيبهم في ترك مذهبهم الشرقي محتمين في عملهم هذا بحكام الموصل وحاكم العمادية ومستغلين الخدمات الطبيه التي يقدمونها لاستمرار هذه حمايه . الا ان ذلك لم يكن العامل الوحيد الذي ساعدهم في تثبيت رسالتهم ودرء ما يهددها . فقد كان ثمة ايضا وجود دولة اجنبية تحيطهم بحمايتها . فاخذوا يفكرون في الحصول على فرمان من الباب العالي في اسطنبول للقيام باعمال سفاره اوربيه ، لاسيما حين باتوا على ابواب الطرد من الموصل عام ١٧٥٢ من قبل الوالي مصطفى باشا لسبب من الاسباب . وكان الاب فرنسيس والاب دومنيك قد طلبا من الاباء الدومنيكان الموجودين في القسطنطينية قبول التوظيف في السفارة الفرنسية لحماية رسالة الموصل . ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ، الا انه فيما بعد تمكن الاب لانزا الدومنيكاني السفر من الموصل الى الأستانه في تركيا واستحصل على فرمان سنة ١٧٥٦ مثبتا حماية السفارة البريطانية لرسالة الموصل[٢١] . بعد ان فشل في استحصال حماية السفارة الفرنسية لهم لان الاباء الكبوشيين اثبتوا للسفير الفرنسي ان رسالة الموصل تعود لهم وليس للآباء الدومنيكان وهكذا فإن هذا الفرمان خلص الاباء الدومنيكان من الضربات التي كان يوجهها لهم البطريرك النسطوري (مارايليا) والذي كان مصرا على اعادة

---

٢٠ - من الامثله على ما وصلت اليه كراهية النساطره العراقيين للمبشرين الاجانب أنذاك هو رفض سكان مدينة القوش دفن أحد الاباء الدومنيكان وهو كود ليتشبني الذي وافاه الاجل عند عودته الى الموصل من العمادية . فقد حمل النساطرة جثته وسلموها الى زميله الاب توريني الذي حضر الى القوش من الموصل قائلين له : - «خذ أخاك هذا البابوي ، هذا غير المؤمن لانريد دفن جثته في قريتنا . خذه حيث تشاء» . COORMACHTICH OP. Cit.

٢١ - الاب لانزا الدومنيكاني - مذكرات خطيه .

كافة الكنائس التي اغتصبها الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي من اتباعه .
وخلال تلك الفترة انتشر نشاط الاباء الدومنيكان في ادخال نساطرة وسريان قرى كثيرة من الموصل الى المذهب الكاثوليكي من تلكيف ، باطنايا . تللسقف . القوش ، بيوس . باقوفا . وكذلك من قره‌قوش وكرمليس وبالتالي من اغلب القرى المسيحية المنتشره في شمال العراق[٢٢] .

لم تكن المبالغ المالية التي ينفقها المبشرون الاجانب من الاباء الدومنيكان في الموصل سببا كافيا لانتشار المذهب الكاثوليكي بين النساطرة والسريان بل كانت الخدمات الطبية والثقافية التي يقدمونها تساعدهم هي الاخرى في الوصول الى تحقيق ماربهم .

كما ان لحكام الموصل من (ال عبد الجليل) دوراً في مساعدة الاباء الدومنيكان على نشر الكثلكة في ولاية الموصل - لاسيما في (قره‌قوش) التي يتركز فيها السريان (اليعاقبة) لروابط الصداقة التي كانت بينهم وبين الباشوات الجليليين حتى انهم كانوا يتدخلون في رسامة الكهنة والاساقفة الكاثوليك وتعيينهم ومساعدتهم في ادارة اتباعهم واستحصال الفرمانات لهم لقاء اتاوات مالية او خدمات طبية . في عام ١٧٧٨ حضر الوالي سليمان باشا الجليلي الى مدينة قرةقوش حيث عرض عليه السريان الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي إن عددهم يزيد عدد السريان (اليعاقبة) ومع ذلك فهم لا يملكون كنيسة من الكنائس الثمان الموجودة في القصبة ، وانه قبل سنوات كان قد اعطاهم كنيسة واحدة فاستردها خصومهم اليعاقبة مرة اخرى . فتجاوب الوالي معهم واعطاهم كنيسة وايد عطيته بوثيقة ، وبعد ايام قام بطريرك السريان (اليعاقبة) فانفذ كتابا الى الباشا قال فيه ان الذين

---

٢٢ - COORMAHTICH , OP. Cit

اعطيتهم الكنيسة في قرهقوش هم تابعون الى (الافرنج) اعداء السلطان والمسلمين الذين يحل سلب اموالهم وسبي عيالهم واستمر مخاطبا الباشا : فاذا تركتهم هكذا تبقى خطيئتهم في رقبتك وانا بريئ من ذنبهم امام الله والسلطان . سلمني الكنائس والذين يصلون فيها[٢٣] .

اننا سنطلق منذ الان فصاعدا على الذين قبلوا المذهب الكاثوليكي من السريان (بالسريان الكاثوليك) . ونطلق على النساطرة الذين تبعوا المذهب الكاثوليكي (بالكلدان المتحدين مع روما او الكلدان) .

وقد استمرت الرسالة الدومنيكية تمارس اعمالها ونشاطها في صفوف السريان والنساطرة لجذبهم الى المذهب الكاثوليكي واغلقت الرسالة الدومنيكية في الموصل ابوابها سنة ١٨١٥ أثر تدهور العلاقات العثمانية – الفرنسية بالاضافة الى قلة المبشرين بسبب وفاة البعض منهم .

المـــرحلة الثانية
١٨١٥ – ١٨٤٠

وبعد ان ترك الاباء الدومنيكان الموصل واغلقت رسالتهم اصبح الوريث الوحيد لهم ولكنيستهم المطران (كوبري) فهو مطران اللاتين على بغداد ، وممثل الكرسي الرسولي البابوي اضافة الى كونه يشغل منصب قنصل فرنسا في بغداد منذ عام – ١٨٢١ يساعده في ذلك رهبان دير الربان هرمز والكائن في القوش[٢٤] .

---

٢٣ – افرام نقاشه (المطران) عناية الرحمن في هداية السريان – ص ٢٥١ – ٢٥٢ – حلب – ١٩١٠ .

٢٤ – COORMACHTCH , OP. Cit. – P

وقد حاول المسيو (كوبري) التدخل في شؤون الطائفة الكلدانية . فوقف الى جانب يوحنا هرمز (وهو ابن اخ البطريرك النسطوري مارايليا الحادي عشر) الذي اظهر رغبته بالاتحاد مع روما واعتناق المذهب الكاثوليكي . الذي رُسم مطرانا ومُنع من ممارسة سلطته سنة ١٨١٨ . حيث قام (كوبري) بممارسة ضغط على روما وحله من المنع ، واخذ يتحامل على مطران الموصل يوسف أودو . وقد كان لكوبري تأثير على روما لتنصيب هرمز بطريركا على الكلدان سنة ١٨٣٠ في القوش[٢٥].

وبعد وفاة (كوبري) حل محله مساعده المبشر لورنس تريوش الذي كان (كوبري) قد جعله سكرتيرا له ، وطبيعي انه كان يشاطر راى سلفه كوبري . لذا نراه يقف الى جانب البطريرك يوحنا هرمز المعين من قبل روما مباشرة . وليس باختيار رجال الدين الكلدان كما هي العادة الشرقية ، ونراه يمتدحه في رسالة له الى روما ، ومن العجيب ان نجد فيها ان البطريرك يوحنا هرمز قد عين تريوش نائبا عاما للبطريركيه ، وهذا امر غريب لان تريوش اجنبي لا يجوز له ان يعين في مثل هذا المنصب الذي يقتصر على الشرقيين من غير اللاتين[٢٦] .

لقد خطى (تريوش) خطوات كبيرة في مجال نشر المذهب الكاثوليكي في العراق عقب نكسة حروب نابليون . فمعرفته بامور العراق وخبرته فيه وتوليه منصب قنصل فرنسا اضافة الى ترقيته من قبل روما فيما بعد الى منصب رئيس اساقفه ، وعنايته بالبعثه الكرملية بالبصرة ، كل ذلك دفعه لان

---

٢٥ - وثائق البروباغندا - المجلد ١٩٢ ص ٣٧ - ٣٨ كذالك رسالة كوبي الى البروباغندا المؤرخه في ١٢ تموز ١٨١٨ - المصدر السابق APF , 192 , H E 37 E 38 .

٢٦ - رسالة تريوش الموجهة الى روما بتاريخ ١٠ نيسان ١٨٣٤ محفوظه في وثائق البروباغندا المجلد ١٦ ص ٣١٣ - ٣١٦ .

بتصرف وفق رغبته وبسط السيطرة البابوية الكاملة على الكلدان في العراق .

فقد اعتاد الكلدان في العراق حسب طقوسهم الشرقية القديمة انتخاب البطريرك فيما بينهم من بين المطارين . وهذه العادة موجوده في كنيسة العراق منذ اقدم العصور . الا ان المبشرين الاجانب ارادوا ترويض الكلدان وفرض سيطرتهم الكاملة عليهم بحرمانهم من انتخاب البطريرك بل بتعيين من يشغل هذا المنصب مباشرة من قبل البابا . فرفض الكلدان ذلك مما سبب حصول انشقاق في الموصل بين الكلدان . فقسم منهم ناصر البطريرك المعين من قبل البابا ، وقام حزب يناصر هذا الاتجاه . كذلك قام حزب معارض له يناصر البطريرك الذي – يريد البطريرك والاساقفه تعيينه على العادة القديمة والتقليد الشرقي . وبذا انقسم الكلدان في الموصل الى حزبين متناحرين احدهما ينافس الاخر ويعاديه . وهكذا لعب الاجانب دورا مهما في شق وحدة ابناء الدين الواحد .

كما اولت الدوائر السياسية البريطانية اهتماما بالموصل في وقت متأخر قياساً بالنسبة للفرنسيين الذين سبقوهم في هذا المضمار من خلال تأسيس الارساليات التبشرية وفتح قنصلية لهم فيها .

وكان النشاط البروتستانتي قد دخل الى الموصل وضواحيها على يد المستر (بادجر) الذي ارسلته الجمعية الانكليزية مبشرا فيها نحو سنة (١٨٤٣م) . وعمل باسلوب جديد فلم يسر على نهج المبشرين البروتستانت الذين سبقوه ، بل وافق الطوائف الشرقية المختلفة في شأن المعتقد بكل شيء ، الا انه كان يشترط عليهم رفض طاعتهم (للبابا) وكانت هيئته وتصرفه الخارجي تحاكي عادات الشرقيين ، فانه كان يدعي الكهنوت ويقدس ويقيم الصلات القانونية ، وبذلك استمال كثيرا من عائلات الموصل الكلدانية

ومن ابرز الذين انحازوا الى المذهب البروتستانتي (عيسى رسام الموصلي) الذي اخذ يجر الكثيرين معه . فنصحه البطريرك الكلداني ان يعود الى مذهبه القديم ولما لم يفعل اراد البطريرك ان يجعله عبرة لغيره فحرمه حرما دينيا احتفاليا (٢٧) .

وكان نشاط السيد (بادجر) في الموصل مستمدا من قوة القنصل الانكليزي فيها الذي كان قد وضع كل طاقته وامواله لكسب السريان اليعاقبة والنساطرة - والكلدان الى الكنيسة الانجليكانية والمذهب البروتستانتي . مما ادى الى جدال مكتوم وواضح بين (الاباء الدومنيكان) والسيد بادجر فانصرف الى فضح خصومه من الاباء الدومنيكان بدون رحمة . وقد بلغ الخصام ذروته عند طلب كوركيس رسام وهواخ القنصل الانكليزي من ولاية الموصل تخصيص كنيسة من كنائس الموصل للطائفة البروتستانتية ، الا ان نفوذ القنصل الفرنسي افشل جهده في الحصول على كنيسة لطائفته انذاك (٢٨) .

ونظراً لان الانكليز كانوا في حاجة الى قوة بروتستانتية متعددة لمواجهة النشاط الكاثوليكي المتزايد في العراق فإنهم كانوا يرحبون بمقدم المبشرين البروتستانت وخاصة الأمريكيين ، وكان المسؤولون الانكليز يعينون المبشرين - الامريكيين على القيام باعمالهم ويقدمون الحماية لهم . ولما كانت بريطانيا في ذلك الوقت تعتقد انه لا خطورة على مصالحها من النشاط الامريكي . ولانه يعينها على وقف نمو النشاط التبشيري الكاثوليكي الفرنسي فانها لم تعارضه ويمكن القول ان اول مبشر امريكي بروتستانتي بدأ

---

٢٧ - بطرس نصري (القس) - مخطوطه ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان - جـ ٣ - ص ٢٣ .

٢٨ - COORMACHTICH , OP. Cit. PART - 7 .

نشاطه التبشيري في العراق هو (جرانت) الذي بدأ يعمل على توطيد اقدامه في شمال العراق منذ اوائل الاربعينات من القرن التاسع عشر. كان (جرانت) يعتقد ان تحويل مسيحيي العراق - وخاصة النساطرة - عن مذهبهم الى المذهب البروتستانتي يعتبر خطوة مكملة لمجهودات البعثات التبشيرية الامريكية في تحويل نساطرة ايران الى المذهب أو العقيدة البروتستانتية. واذا ما نجحت هذه الخطة فان المذهب البروتستانتي يحرز نصراً حاسماً في تلك الجهات على المذهب الكاثوليكي. ذهب (جرانت) اول ما ذهب الى ماردين. وكانت لماردين تجربة سابقة مع بعثة تبشيرية امريكية اساءت الى الناس هناك حتى انهم هاجموا مقرها وارغموها على مغادرة ماردين. لذلك اثر (جرانت) ان يترك - ماردين الى ديار بكر. ولكنه وجد أن المشاعر المعادية للأوربيين في ديار بكر لا تقل شدة عما وجده في ماردين وجاء جرانت الى الموصل ولكنه وجد ان النساطرة الساكنين بقربها قد تحولوا باعداد كبيرة الى الكثلكة على يد المبشرين الكاثوليك الفرنسيين الذين سبقوه، فقرر جرانت ان يتخذ من ديار النساطرة في منطقة تخوما (الحدود) وحيكاري في تركيا ميداناً لنشاطه.[٢٩]

وكان كرستيان رسام (Christian Rassam) اول من تولى وكالة الموصل في عام ١٨٣٩، وقد كانت له مواهب اعدته للقيام بالمسؤوليات - السياسية والثقافية والتبشرية التي وكلت اليه. فقد كان يتقن اللغة السريانية اضافة الى اللغة العربية. وكان مشغوفا بالمخطوطات النادرة ومحتفظاً بانساب العشائر العربية بالموصل. هذا إضافة الى انه تزوج بالسيدة بادجر (Badger) ذات الثقافة والنشاط الكبيرين في سبيل نشر وتوطيد النفوذ البريطاني وتحول عن مذهبه الكلداني الى المذهب

---

٢٩ - ابراهيم خليل أحمد - الاستشراق والتبشير - المصدر السابق - ص ٤٥ - ٤٦.

البروتستانتي . وبقي يشغل منصبه فترة طويلة امتدت حتى وفاته في ۱۸۷۲ . وبعد وفاته طلب القنصل البريطاني العام في بغداد من حكومته ان يُسند المنصب الشاغر الى موظف بريطاني الاصل حتى لا يعترض القنصل الفرنسي على الممثل البريطاني في الموصل [٣٠] .

وقد قامت المقيمة البريطانية في الموصل بدور بارز في تعميق حدة الخلاف بين الحزبين المتنافرين في صفوف الكلدان وذلك بدعم الحزب المتمسك بالتقاليد الشرقية القديمة والمناوئ لروما . بسبب كون الانكليز على خصوم مذهبي مع روما الكاثوليكية . بينما كان الفرنسيون يدعمون الحزب المؤيد . لكون فرنسا احدى الدول التي رفعت نشر التقاليد الغربية لواء الكثلكه . وقام الاباء الدومنيكان على هذا الاساس بدور بارز ايضا في دعم الحزب المؤيد لروما . من خلال الاستفادة من وضعهم كفرنسيين وكمرسلين من قبل روما . وقد لعب دورا بارزا في هذه الاحداث المستر رسام الكلداني الذي كان نائب القنصل البريطاني في الموصل . وكانت لبريطانية رغبة في جذب هؤلاء الى مذهب كنيسة انكلترا ، او على الاقل استمالتهم سياسيا الى جانبها . وفي النهاية رضخت روما لرأي الكلدان ، وتنهال الاتهامات على مواقف تريوش منها اتهامه في قضية موت البطريرك يوحنا هرمز ، واتهامه بتصرفات لا اخلاقية . فيقرر المجمع الروماني (البروباغندا) ابطاله . حتى استقال من منصبه في ١٨٥٨م .

المرحلة الثالثة
١٨٤٠ - ١٨٥٤

جددت الرسالة الدومنيكية اعمالها في الموصل عام ١٨٤٠ م حيث وصل

---

٣٠ - د . عبد العزيز سليمان نوار - المصدر السابق - ص ٢٩٥ .

الموصل الاب (انطوان مرجاي) مع بعض المعاونين له من اتباعه . ويعود سبب تشجيع اعادة فتح هذه الرسالة مرة اخرى في الموصل . بعد ان اغلقت نحو ثلاث عشرة سنة . وجود القنصلية الفرنسية التي افتتحت في الموصل عام ١٨٣٤م . حيث سعى الكردينال فرنسوا رئيس مجمع البروباغندا في روما الى فتحها وذلك لحماية المسيحيين وهذا هو ظاهريا . في حين ان الحقيقة في فتحها هو لتقديم الغطاء والدعم للنشاط التبشيري . وقد عين اول قنصل لفرنسا في الموصل المسيو (بوتا) [٣١] . الذي اتخذ له ترجمانا عبد الكريم بني من السريان الكاثوليك والذي تركه نائبا بعد عام ١٨٤٨ .

وقد تمكنت هذه الرسالة من توسيع اعمالها ، وفتح مركز جديد لها للاستراحة في صيف عام ١٨٤٧م في المنطقة الجبلية قرب قرية شيوز (دهوك) حيث بنوا لهم ديرا هناك في قرية مار ياقو بنفقات المحسنين الفرنسيين . ومنذ عام ١٨٥٦ م بدأ يفد المرسلون الدومنيكان من الفرنسيين الى الموصل بعد ان كان الذين سبقوهم من الاباء الدومنيكان الايطاليين . وبوصول الاب بيسون (P E Besson) الى الموصل اعتزل الاباء الدومنيكان الايطاليون العمل وحل محلهم الاباء الدومنيكان الفرنسيون الذين اخذوا يرتدون الثوب الرهباني في حين كان الاباء الدومنيكان الايطاليون يرتدون الزي التركي مجانسة [٣٢] .

والسبب الحقيقي وراء تغيير قيادة الرسالة الدومنيكية الى الفرنسيين هو ان البابا والكنيسة في روما اعادت النظر في وسائل نشر المذهب الكاثوليكي في الشرق واعادته الى قوته الفعالة والتي كان عليها وجود القنصلية الفرنسية في الموصل باعتبار الاباء المبشرين الفرنسيين من رعايا الدولة الفرنسية والحصول بذلك على الحماية

---

٣١ - **بطرس نصري - ذخيرة الاذهان (مخطوطه) ج ٣ - ص ١٨ - ١٩ .**

٣٢ - **أوجين تيسران - المصدر السابق - ص ١٨١ .**

والدعم الضروري من فرنسا .

وقد ساعدت القنصلية الفرنسية في انضمام عدد كبير من السريان في قرەقوش وبرطله الى الكرسي الروماني (الكثلكه) وذلك بدهاء القنصل الفرنسي الذي كان يشير على الحاكم العثماني في الموصل لتثقيل كواهل المسيحيين بالضرائب الباهضة ، ومن جهة اخرى كان يبث المرسلين الدومنيكيين بين المسيحيين يرغبونهم في طلب حماية فرنسا كي يتخلصوا من تلك الضرائب شريطة الخضوع لبابا روما[٣٣] .

فقد كان السفراء الاجانب في اسطنبول . عاصمة الخلافة العثمانية ، يساندون بعض الطوائف المسيحية المنتشرة في البلاد الخاضعة للدولة العثمانية . فكان سفير روسيا يساند الارثذوكس البيزنطيين المتواجدين في تركيا واليونان وروسيا وايران وسواها . وسفراء الدول الاوربية الكاثوليكية ولاسيما سفير فرنسا يساند الكاثوليك ويدافعون عن حقوقهم . وكانت الدولة العثمانية تؤيد بفرماناتها تارة هذا وطورا ذاك[٣٤] . وحسب تطور علاقاتها ومصالحها مع تلك الدول وهكذا .

لذا كانت الكنائس الكاثوليكية (الكلدانية والسريان الكاثوليك) تحت الحماية الفرنسية من خلال قناصلهم ، فيما اخذت السياسة البريطانية تبدى ميلا واضحا لحماية الكنيسة النسطورية ضد المنشقين عنها وهم الكلدان الكاثوليك ، لذا كانت بريطانيا هي السباقة ايضا لارسال بعثة تبشيرية بين النساطرة تدعى (بعثة رئيس اساقفة كنتبري للنسطوريين)[٣٥] .

---

٣٣ – زكي بشير عيواض (الاب) – المرقاة في اعمال راعي الرعاة – ص ٢٤ – ٢٥ – شركة الطباعة المتحدة – حمص – ١٩٥٨ .

٣٤ – أفرام نقاشه – عناية الرحمن في هداية السريان – ص ٤٧٦ – مطبعة صبرا – بيروت – ١٩١٠ .

٣٥ – المس بيل – فصول من تاريخ العراق القريب – ترجمة جعفر الخياط – ص ١٦٢ – الطبعة الثانية – بغداد – ١٩٧١ .

ومن البديهي ان واجب المبشرين في العراق والشرق بصورة خاصة لم يكن هدفه الأساس جعل المسلمين نصارى ، بل ليدخلوا النصارى الشرقيين في المذهب الكاثوليكي من خلال اعترافهم بان البابا هو الرئيس الديني الاعلى . ومن الواضح ان رؤساء الطوائف المسيحية الاخرى لا يرضون هذا العمل الذي يقوم به هؤلاء المبشرون فاذا ما اظهروا تذمرا واشتكوا لدى الحكومة العثمانية او لولاتها على اعمال هؤلاء المبشرين ، فإنهم كانوا يقومون برشوتهم ، ودفع كميات لاباس بها من المال لقاء سكوت السلطات العثمانية عن اعمالهم . وكانت المعرفة بعلم العقاقير والادوية هي اهم واسطة يتبعها المبشرون في حماية انفسهم في البلاد الخاضعة لسلطة الدولة العثمانية (٣٦) . ورغم ان الحركات التبشيرية الكاثوليكية كانت تلقى مقاومة من الرؤساء الدينيين المحليين من الطوائف المسيحية الاخرى كالنساطرة ، والسريان والارمن الارثذوكس ، لكنها كانت حركة يصعب عليها الوقوف على قدميها امام البعثات التبشيرية البابويه الفخمة بما يحوطها من القاب ومظاهر عظمة ومن فتح مدارس واستيراد الكتب او طبعها محليا واتصالات شاملة بين ايران وبغداد والبصرة وارمينيا واسيا الصغرى والاستانة وروما وباريس ومارسليا (٣٧) . لذلك كانت تتسم

---

٣٦ - يقول الرحالة نيبور الذي زار العراق في القرن الثامن عشر أنه كان يحمل معه توصيه الى البعثه التبشيريه في الموصل . ولكن حالما عرف هؤلاء المبشرون أنه دانمركي وبروتستانتي المذهب ، أمتنعوا عن مساعدته واظهروا اعدم أرتياحهم له . رغم أنه كان على وفاق ووئام مع جميع الرهبان الذين صادفهم وتعرف عليهم أثناء رحلته ، وقد أخذ هؤلاء المبشرون يشيعون عليه ويقذفون بالمذهب البروتستانتي واتهموه بالالحاد حتى صار كل المسيحيين في الموصل ينظرون اليه كاحد الكفره الملحدين . وتحت موجة الشغب الشديده هذه التي اخذ هؤلاء المبشرون الدومنيكان يبثونها نحوه فان المسلمين أخذوا يعتقدون أنه ليس مسيحيا واخذوا يسالونه لماذا لا يختلط مع أبناء قوم الاوربيين ؟

نيبور - رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر - ص ١٠٤ - ترجمة د . محمود حسين الامين - وزارة الثقافة والارشاد - بغداد سنة الطبع غير مذكوره .

٣٧ - د . عبد العزيز سليمان نوار - المصدر السابق - ص ٣٠٦ .

مقاومة رجال الدين المسيحيين المحليين لهذه البعثات بالضعف بسبب محدودية امكاناتهم المادية . اضافة الى ضعف ثقافة البعض منهم قياسا للمبشرين الاجانب الذين كانوا يحصلون على اعلى الشهادات في المجالات العديدة ومنها الدينية من بلدانهم الاوربية انذاك .

وقد اهتم هؤلاء المبشرون كثيرا بحرق واتلاف الكتب والمخطوطات التي تخص النساطرة . وحسب ما يقال فان الاف الكتب والمخطوطات القديمة القيمة قد رميت في نهر دجلة بأمر من المبشرين [٣٨] ، لأنها تحتوي في طياتها على تعاليم نسطور (او خشية ان تفوح منها رائحته كما كان يقال آنذاك) .

وفي عام ١٨٤٤ شرع الآباء الدومنيكان في توسيع دار الرسالة في الموصل فقد كان مجمع انتشار الايمان قد خصص مبلغاً لبناء كنيسة لاتينية في الموصل . ولما سمع المسلمون انهم قد وردتهم صناديق آنية وشمعدانات شرعوا يبثون القول ان (الافرنج) يريدون بناء قلعة هم داخل مدينة الموصل لحصارها وان في صناديقهم أسلحة ، فتألبوا وهجموا على دار المرسلين وخربوها . وقد قام الوالي بتسوية الامر فيما بعد وانقذ الأب (فاليركا) من أيدي المهاجمين . وتم فيما بعد بناء الدار بعد انتهاء النزاع بين المسلمين والآباء الدومنيكان [٣٩] ، ومن المؤكد ان رؤساء الطوائف المسيحية المناوئة للآباء الدومنيكان كانوا وراء تحريض المسلمين على الآباء الدومنيكان بأعتبارهم من الأجانب (الافرنج) ولا يرتاح المسلمون لهذه التسمية التي سبق وان ارتبطت بالصراع الديني الاسلامي – المسيحي في فترة الحروب الصليبية .

---

٣٨ – ماتفيف– تاريخ الآثوريين– الجزء الاول– ترجمة اسامة نعمان– مطبعة دار الجاحظ– بغداد–١٩٧٠ .

٣٩ – بطرس نصري– ذخيرة الادهان– المصدر السابق– ص ١٩–٢٠ .

الغيت القنصلية الفرنسية في الموصل سنة ١٨٥٩ من قبل الامبراطور نابليون الثالث . وغادر القنصل الفرنسي مع مساعديه مدينة الموصل . وقد انتشر خبر الغاء القنصلية الفرنسية بسرعة مدهشة مما أدى الى تبديل مفاجئ في احوال الآباء الدومنيكان والطوائف المسيحية التي اتبعت المذهب الكاثوليكي . ومما زاد في تأزم الموقف هو قضية الخلاف بين البطريرك يوسف اودو (بطريرك بابل على الكلدان) مع الكرسي البابوي في روما آنذاك . فقد سعى القاصد الرسولي في العراق (هنري امانتون) الى الامبراطور نابليون الثالث راجياً منه الرجوع عن قراره بالغاء القنصلية الفرنسية في الموصل . كما أجرى البابا بواسطة مجمع انتشار الايمان «البروباغندا» في ايطاليا اتصالات بوزارة الخارجية الفرنسية لهذا الغرض . ونتيجة لذلك ، اي لخلو الموصل من القنصلية الفرنسية التي كانت تقدم الدعم والعطاء لاعمال ونشاط الآباء الدومنيكان التبشيرية ، وللخلاف الحاصل مع البطريرك الكلداني . قرر البابا ارسال رئيس جديد للأرسالية التبشيرية للموصل من ذوي الخبرة ، فوقع الاختيار على الأب (بيسون) الذي سبق له العمل في الموصل . حيث استلم مهامه عام ١٨٥٩ واستمر في اجراء الاتصالات اثناء وجوده في باريس والتشبث لدى الشخصيات الفرنسية المؤثرة لاعادة فتح القنصلية الفرنسية في الموصل وقابل الملكة الفرنسية لهذا الغرض متضرعاً لها لتأييد سعيه . وتم له ما أراد ، وعين السيد شوفان-بيار (نائباً رسولياً جديداً) في الموصل مع صلاحيات تسمح له بتمثيل فرنسا .

وقد واجهت القاصد الرسولي الجديد ورئيس الآباء الدومنيكان الأب (بيسون) مشكلة (الكلدان) التي عكرت عليهما مشاريعهما . حيث كانا يأملان استمرار العمل في صفوف النساطرة (وهدايتهم) الى المذهب الكاثوليكي من خلال التجوال في جبال كردستان . الا ان خلافهم مع

(الكلدان) ادخلهم في نمط جديد ، حيث اضطر الأب (بيسون) الى ترك منهاج الرسالة القديم المتضمن (هداية) النساطرة ومحاربة البروتستانت[٤٠] . والاتجاه لحل مشكلة الكلدان .

تطور النزاع بين البابا والرئاسة الكاثوليكية في روما من جهة وبين الكلدان في العراق في تلك الفترة من جهة اخرى ، فقد لعب الآباء الدومنيكان وغيرهم من المبشرين اللاتين دوراً بارزاً في محاولة اضعاف الشخصية ذات النزعة الاستقلالية لدى الكلدان ، فقد حاولوا بشتى الطرق العمل على خضوع هؤلاء الى الكرسي البابوي خضوعاً تاماً ، وبالتالي طمس الروحية الاستقلالية في التصرف حسب الطقوس الدينية التي اعتادت على ممارستها كنيسة العراق وفق تقاليدها العريقة منذ القدم .

كانت تعيش في الهند طائفة من المسيحيين النساطرة الذين كانوا يتبعون في طقوسهم وعاداتهم ورئاستهم الدينية كنيسة العراق ، واستمر الحال حتى بعد تحولهم الى المذهب الكاثوليكي حيث سموا فيما بعد بالكلدان وهكذا فقد اصبح الرئيس الروحي لهم هو بطريرك الكلدان العراقي (بطريرك بابل على الكلدان) ومقر رئاسته في العراق وفي مدينة الموصل بالذات عهد ذاك ، فهو الذي يعين رجال الدين وينصب رؤساءهم بطلب منهم[٤١] .

وقد استجاب البطريرك العراقي (يوسف اودو) لطلب الكلدان الملباريين (سنة ١٨٦٠) في الهند ، وعين لهم مطراناً عراقياً لرئاستهم ارسله الى الهند لهذا الغرض . الا ان الكرسي البابوي في روما اعترض على هذا التعيين الذي لم يتم بموافقته ، وأرسل له يطلب منه سحب مطرانه الجديد المعين في الهند ، ويعلمه بأنه غير مسؤول عن الكلدان الملباريين بل انهم متعلقون

---

٤٠ - COORMAHTICH – OP,Cit PART – 7.

٤١ - COORMACHTCH, OP – Cit.

ـاشرة بالكرسي البابوي ، ولا سلطة دينية لكنيسة العراق عليهم . وقد حق هذا الموقف رد فعل عنيف في صفوف الكلدان في العراق وفعلاً قام لكرسي البابوي في روما بوضع يده على الكلدان الملباريين ووجههم نحو ستخدام الطقوس الغربية ، عوض الطقس الشرقي المستمد من كنيسة لعراق والذي هو طقسهم الخاص بهم (٤٢) .

لقد سبب هذا الاجراء خلافاً حاداً بين الكلدان والكرسي البابوي في روما ، ورفض البطريرك يوسف اودو الخضوع في أول الأمر الى سلطة البابا . فكتب رسالة الى رئيس مجمع انتشار الايمان عام ١٨٤٩م يشرح فيها جهوده ورعايته للكنيسة الكلدانية ، ويدافع فيها عن سلطته الدينية على كلدان الملبار . وجدد رسالته الى نفس المجمع عام ١٨٥٠م . فأجابته روما بواسطة الأب (ماركي) رئيس الدومنيكان بالموصل بعدم اثارة هذه القضية ابداً ، وفي رسالة اخرى له الى روما يؤكد على ان لكل كنيسة ان تحافظ على طقوسها ولغتها ، وقد جاوبته روما رافضة سلطة البطريرك الكلداني على الكلدان الملباريين فقد كانت قضية الملبار بالنسبة للكلدان في العراق قضية حق (٤٣) .

تطور النزاع بين الكلدان من جهة والكرسي البابوي والمبشرين الدومنيكان من جهة اخرى ، فوقعت المشادة والقطيعة بين البطريرك الكلداني يوسف اودو وبين القاصد الرسولي (هنري امانتون) عام ١٩٦٠

---

٤٢ - د . يوسف حبي - الكلداني والملبار في القرن التاسع عشر - مجلة بين النهرين ١٠(١٩٨٢) - ص ٥١-٨٤ .

٤٣ - وعن خلاف البطريرك يوسف اودو مع الكرسي البابوي بمناسبة قضية الملبار نقرأ في رسالة له : (انظروا عدم عدالة اللاتين ، انهم لا يتبعون الحقيقة مع من يهتدي الى إيمانهم ، لكنهم ينكر ويبدلون طقوسهم كما فعلوا مع كلدان الملبار) انظر :- ACO, 182 – 184.

حتى وصل الأمر (بأمانتون) الى ارسال ورقة يعلن فيها انه يحرم البطريرك . رغم ان روما لم تقر بذلك ، لأن الأمر أكبر من ان يحتمل . وقد وجه البطريرك اودو الى البابا بيوس التاسع عام ١٨٦٠ رسالة وقعها الاساقفة الكلدان ايضاً ضد تصرفات القاصد الرسولي (امانتون) الذي أخذ يتدخل في شؤونهم يساعده في ذلك الأب (دوفال) الرئيس الجديد للدومنيكان في الموصل . وطلب في رسالة ثانية الى البابا انسحاب امانتون والدومنيكان من الموصل [٤٤] .

وقد ولّدَ هذا الموقف هياجاً بين الكلدان في الموصل ضد المبشرين والقاصد الرسولي (امانتون) وبالتالي ضد البابا . واتهم مؤيدو الملبار البطريرك اودو بالخنوع والخضوع والضعف أمام مجمع انتشار الايمان ، حيث قام الآباء الدومنيكان بدور في تحريض روما ضد الكلدان . وقامت روما بمنع وتهديد رجال الدين العراقيين الذين سيذهبون الى الملبار ، وأعلن انه لمن المستحيل قبول سلطة البابا المباشرة على الملبار . . . . ولكن فيما بعد وبنشاط الآباء الدومنيكان وتأثيرهم على رجال الدين المسيحيين أعلن البطريرك مار اودو خضوعه للبابا قبل وفاته عام ١٨٧٨م . اذ أجبر نفسه على الطاعة لنشر الهدوء بين الكلدان الثائرين على روما وبذا لم تستطع الكنيسة الكلدانية الوقوف ضد سلطة البابا نتيجة للظروف الصعبة التي احاطت بها آنذاك وفشلت في الدفاع عن استقلاليتها .

وخلال هذه المرحلة حقق المبشرون الأجانب نجاحاً عظيماً عندما تمكنوا من دعوة النساطرة في الموصل وضواحيها القريبة منها الى التخلي عن مذهبهم النسطوري والتحول الى المذهب الكاثوليكي ، وتمكنوا من تحويل اعداد

---

٤٤ - وثائق البروباغندا . المجلد ٢٢ ص ٣١٠-٣١٣

APF 22, 310–313.

كبيرة من النساطرة في الموصل وتلكيف وباطنايا وتللسقف والقوش وكرمليس . مما حدا بالنساطرة الذين رفضوا التحول الى المذهب الكاثوليكي والخضوع الى سلطة البابا في روما الى الهجرة مع بطريركهم من مدينة (القوش) والتي كانت لقرون خلت مقراً للبطريرك النسطوري الى جبال كردستان متزعماً مؤيديه . وقد وقع اختياره على قرية (قوجانس) في (سنجاق حكاري) في ولاية (وان) التركية مقراً له . لذا فقد شهد القرن الثامن عشر صراعاً مريراً بين النساطرة والمبشرين الذين كانوا يريدون اخضاع جميع النساطرة لسلطة بابا روما الكاثوليكية . وقد قام المبشرون بأستخدام شتى الوسائل للوصول الى غاياتهم فكانوا يشترون ذمم رؤساء العشائر والشيوخ الاكراد والأتراك لكي يقوم هؤلاء بالضغط على النساطرة وبذا انتهت مساعي روما في النهاية بنجاح ، فقد استطاعت ان تخضع لسيطرتها اغلب النساطرة في شمال العراق ، واصبح أسم النساطرة الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي فيما بعد (الكلدان) ولقب بطريركهم بلقب (بطريرك بابل على الكلدان)[٤٥] . ولم يسلم النساطرة المنتشرون في تركيا وايران الذين ثبتوا على مذهب نسطور من تحرك البعثات التبشيرية الاخرى عليهم ، ففي عام ١٨٢٩ أرسل مكتب البعثات الاجنبية الامريكية مبعوثَين الى مناطق سكن النساطرة كانا يحملان توجيهات بالتعرف على احوالهم عن كثب ومعرفة امكانية اقامة بعثات امريكية دائمة في مناطقهم . كما أرسل نفس المكتب بعثة برئاسة (بيركنس) الى منطقة ارضروم عام ١٨٣٢ . وبعد ذلك افتتحت البعثة المسيحية الامريكية مدارس للفتيان والفتيات ، لنشر المذهب البروتستانتي بين النساطرة قام الامريكان بدراسة لغتهم ، وكتب

---

٤٥ – ماتفيف– المسألة الآشورية اثناء وبعد الحرب العالمية الاولى– ص٢٠ .

المبشر (ستودارد) لأول مرة قواعد اللغة (الآثورية) باللغة الانكليزية. واصدر المبشرون الامريكان مجلات ومطبوعات دعائية تحمل دائماً طابعاً دينياً واضحاً، فقد بدت مشاكل النساطرة المقيمين في تركيا وايران تظهر بشكل واضح بزيادة نشاط البعثات التبشيرية الانكليزية والأمريكية والروسية التي حلت فيما بينهم، فبقدوم البعثات التبشيرية وضعت نهاية الى وحدة النساطرة (الذين اطلقت عليهم البعثة التبشيرية البريطانية تسمية الآثوريين فيما بعد لأسباب سياسية) لأنهم جلبوا معهم الثقافة الغربية بما فيها الخلافات الكنسية الدينية، وقد استمرت المنافسة بين البعثات التبشيرية التابعة لروما (الكاثوليكية) والبعثات التبشيرية الروسية (الارثذوكسية) والبعثات البروتستانتية التي كانت مدعومة من بريطانيا وامريكا، وهكذا شهدت مناطق النساطرة تكالب البعثات التبشيرية عليهم بشكل لم يسبق له مثيل. وجعلت البعثات التبشيرية الاجنبية النساطرة غرباء عن السلطة في اوطانهم وقسمتهم اضافة الى ذلك الى خطوط طائفية. كما ساهمت في تعميق العداء بينهم وبين جيرانهم الأكراد والأتراك وعمل الامريكيون على استخدام النساطرة (الآثوريين) بشكل ديني للهجوم على المحيط الاسلامي، في حين عمد الروس الى كسب الآثوريين بشكل حليف سياسي يجعلهم يعتمدون على القوة الروسية، او بأبعادهم عن المساهمة والتعاون مع السلطة الايرانية آنذاك بالنسبة للنساطرة (الآثوريين) الموجودين في منطقة (اورميا) الايرانية [٤٦].

---

٤٦ – Eden Naby – THE ASSYRIRNS OF IRAN –

– REUNIFICATION OF A MILLAT – 1906 – 1914

– NO. 2. Aprit, 1977

– Int – J – Middle East Stud.

كما شهدت هذه الفترة توسيع اعمال الرسالة الدومنيكية خارج الموصل فاقترح الأب (لمي) وأصر على انشاء رسالة في العمادية رغم معارضة بعض الآباء وكانت غايته من ذلك ان يتسنى له العمل على استمالة النساطرة الى المذهب الكاثوليكي . فعلاً سافر الى العمادية سنة ١٨٦٣م برفقة الأب (ميليانو) لوضع الحجر الأساسي ، وشرعوا ببناء الرسالة . وبعد أيام قلائل منعتهم الحكومة من ذلك ، وعندما علم القنصل الفرنسي في الموصل بذلك كتب الى السفارة الفرنسية في القسطنطينية ، التي سعت لدى المسؤولين العثمانيين الذين اعطوا الأمر الى حكام ولاية الموصل بالسماح لهم بتكميل البناية ومعاقبة المقصرين ، وتمت معاقبة القائمقام بالعزل مع بعض موظفيه ، وسمح للآباء الدومنيكان ببناء بيت لرسالتهم يقيمون فيه . وكان من الصعب عليهم اكمال البناية وذلك لأن البنائين والعمال كانوا من النساطرة الذين رفضوا اكمال العمل بها وقد تم فيما بعد اكمال بناء البيت في ربيع سنة ١٨٦٤ ولم يسكنوا فيه الا قليلاً وذلك لقلة المرسلين . وأخيراً سلمت الى مطران الكلدان في العمادية (٤٧) . ويعود السبب الرئيسي لفشل الآباء الدومنيكان في الاستمرار بالنشاط التبشيري في العمادية الى المعارضة الشديدة والمضايقات التي لقوها على يد النساطرة الذين كانوا يرفضون بشدة تحرك هؤلاء فيما بينهم .

وما ان استقر الأب (بيسون) الدومنيكي في الموصل بمنصب رئيس للرسالة التبشيرية الدومنيكية حتى قام بجلب مطبعة الى الموصل لطبع الكتب ، وقد وجد ان لهذا النشاط الثقافي ارضاً خصبة بين سكان مدينة الموصل ، الذين كانوا بأمس الحاجة اليه .

---

٤٧ - COORMACCHTICH, OP – cit.

تم طبع العديد من الكتب ذات الطابع الديني في المطبعة الحجرية التي بدأت في العمل عام ١٨٥٨م . غير انه وجد ان المطبعة الحجرية الصغيرة لن تفي بالغرض الذي من اجله انشأت . فلم يكن منهم الا ان ابتاعوا سنة ١٨٥٩م مطبعة كاملة المعدات وخصصوا لها مبلغاً كبيراً من المال . وكان اذ ذاك المطران هنري امانتون رئيساً للرسالة الدومنيكية بالموصل . الذي سعى للحصول على التبرعات من جمعية المدارس الشرقية في باريس لتطوير هذه المطبعة والتي أخذت بالطباعة باللغة العربية سنة ١٨٦٠ . وقد قام الآباء الدومنيكان في تعضيد وتأليف الكتب وتعريبها . وكانت قد نشرت خلال الفترة (١٨٦١-١٨٦٧) نحو ثلاثة وعشرين كتاباً . وتعد باكورة المطبوعات في الموصل[٤٨] . وقاموا بطبع كثير من الكتب الدينية والمدرسية والعلمية . الى جانب اصدارهم المجلات والنشرات المتنوعة باللغات العربية والفرنسية والسريانية بالحرف الكلداني .

ومما لاشك فيه ان الغاية الرئيسية من جلب الآباء الدومنيكيين مطبعتهم في الموصل هي نشر الكتب ذات الطابع الديني المؤيدة لهم ولاستمرار نشر آراءهم المغايرة لآراء المسيحيين العراقيين من الطوائف الاخرى التي تختلف معهم . ولا ينكر ان هذه المطبعة قد خلقت تياراً ثقافياً في مدينة الموصل ، وان كان ذا نزعة غربية . ولاشك في ان المسؤولين عن الحملات التبشيرية كانوا يختارون لهذه المهمة اشخاصاً ذي كفاءات متنوعة من ذكاء وعلم

٤٨ - استمر عمل المطبعة في طبع الكتب الدينية باللغة العربية والسريانية والفرنسية في مدينة الموصل اضافة الى كتب تعليم هذه اللغات والكتب المدرسية الى بداية الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ حيث صدر الأمر من الحكومة العثمانية بمغادرة الفرنسيين اراضي الامبراطورية العثمانية بسبب دخول فرنسا الحرب الى جانب انكلترا ضد الدولة العثمانية حليفة المانيا . وكان ممن شملهم الاجراء هذا الآباء الدومنيكان بالموصل الا انهم عادوا مرة اخرى بعد انتهاء الحرب .
سهيل قاشا- مطبعة الآباء الدومنيكان بالموصل وتراثها الثقافي .

بالطب والثقافة العامة . لذا فإن الآباء الدومنيكان في الموصل التجأوا الى عدة سبل وطرق مختلفة لتدعيم موقفهم والسعي لتحقيق اهدافهم التي لم تقتصر على الجانب التبشيري والجانب الثقافي او الاجتماعي بل تعدت ذلك الى الجانب الطبي والعلاجي . فقد كان من بينهم من يمتهن الطبابة . ونال الأب (هياسانت) شهرة في الطبابة عام ١٨٦١م عندما اجتاح الموصل وباء التيفوس . وتوفى بعد ذلك بقليل .

ومن الآباء الذين مارسوا مهنة الطب الأب (لويس ليون) الذي أصبح فيما بعد مطراناً . وكان له دور في تقديم العلاج الى المرضى في اوقات اجتياح الكوليرا لمدينة الموصل في عام ١٨٦٣م و ١٨٦٥م . واشتهر الى جانبه كذلك الأب (جان بانسيت) المتوفى في دير مار ياقو (يعقوب) ١٨٧٩م اثر اصابته بالحمى التيفوئية . وفي عام ١٨٧٦ قاموا بافتتاح مستشفى جديد لهم اكثر ملائمة من المستوصف والصيدلية التي كانوا يعملون بها ، وقد انضم الى الخدمة في هذا المستشفى راهبات التقدمة ، وكن قد حللن بالموصل عام ١٨٧٣م . وفي هذه السنة ترك الأب (لويس ليون) الموصل . وخلفه الأب (دينس كواليه) الذي كان أول مبشر دومنيكاني حائزاً على شهادة الدكتور بالطب وكان يستقبل مرضاه في المستوصف مجاناً خمسة أيام في الاسبوع ، كما كان يعود المرضى الراغبين في ذلك في بيوتهم . وكانت الراهبات تقمن بالاعمال ذاتها بالنسبة للنساء . وقد أخذ عدد المراجعين للمستوصف بالازدياد حتى بلغ ثلاثين ألف مراجع عام ١٨٨٧ . واستمر الدومنيكان على تقديم الخدمات الطبية لحين نشوب الحرب العالمية الاولى[٤٩] .

كما استغل الآباء الدومنيكان حاجة الموصل الى المدارس والثقافة بسبب

---

٤٩ — جون فيي– الآباء الدومنيكان وخدماتهم الطبية في ولاية الموصل مقال مكتوب بالآلة الطابعة– غير منشور .

قلة المدارس فيها . فسعوا الى فتح المدارس . هدفهم بالدرجة الاولى خلق جيل من المثقفين المسيحيين يتجه بثقافته الى النزعة الغربية من خلال تأثره بأسلوب التعليم ومحادثة المدرسين القائمين بادارته . رغم ان هذه المدارس كانت هي الاخرى تضم في رحابها العديد من الطلبة المسلمين ومن ابناء العوائل الغنية او المتنفذة .

ومنذ عام ١٨٥٠م قام الآباء الدومنيكان بفتح اول مدرسة لهم ابتدائية ثم اعقبوها بمتوسطة وثانوية . عرفت بمدرسة الآباء الدومنيكان . لتدريس العلوم واللغة الفرنسية وقد تخرج منها نخبة من رجال الدين المتزمتين ، ومن المدنيين ايضاً والذين بحكم اتقانهم اللغة الفرنسية نشأ بينهم وبين بعض الدول الاوربية الكاثوليكية رباط ثقافي [٥٠] . وقد أبدى القنصل الفرنسي في الموصل عام ١٨٥٤م دهشته عندما لاحظ ان أهل هذه المدينة يعرفون عن نابليون اكثر مما توقعه بكثير [٥١] .

كما اسسوا معهداً صناعياً لتعليم مهنة حياكة السجاد وتجليد الكتب ، وتأسيس معهد خياطة لتعليم الفتيات مبادئ الخياطة والتدبير المنزلي . كذلك وسعوا من خدماتهم الاجتماعية بتأسيس ميتم للبنات والبنين .

وقد فتح الأب (ليون) الذي كان يهودياً قبل ان يصبح مسيحياً مدارس خارج الموصل ايضاً ، ففتح مدرسة في مار يعقوب وفي كركوك ومدرستين في ضواحي مدينة الموصل [٥٢] .

ولكي يضمنوا ايضاً نشأة رجال الدين المسيحيين على تعاليمهم وتأثرهم بنزعتهم الغربية . انشأوا عام ١٨٨٢ معهداً دينياً مشتركاً للكلدان والسريان

٥٠ – عماد عبدالسلام – المصدر السابق – ص٤٢٧ .

٥١ – دي فوصيل – الحياة في العراق منذ قرن – ص١٣٥ .

٥٢ – COORMACCHTICH, OP–CIT. –

الكاثوليك بأسم (معهد مار يوحنا الحبيب) والذي لايزال قائماً للآن ، وذلك بهدف تخرج رجال الدين . وكانوا يتولون الانفاق عليه وتوجيه تلامذته توجيهاً مشوباً بالتعصب للغرب واللاتين وكان الطلبة فيه ملزمون بالتحدث باللغة الفرنسية .

الخـــــلاصة

تمكن المبشرون الأجانب من تحقيق نجاحات عديدة اولها تمزيق وحدة المسيحيين العراقيين وخاصة في مدينة الموصل وضواحيها الى طوائف وشيع من خلال استمالة الاكثرية منهم الى المذهب الكاثوليكي . وفرقت فيها فيما بينهم . كما تمكنت من ادخال العادات والطقوس الغربية بدل الطقوس الدينية الشرقية والعراقية في صورة خاصة بغية طمس تراثهم القديم . وقتل الروح الشرقية والوطنية الى حد كبير في نفوس الذين اتبوعهم من خلال شدهم الى الكنيسة اللاتينية .

كما فسحت هذه البعثات التبشيرية الاجنبية ، من خلال القائمين عليها من الأجانب ، المجال لقنصليات وسفارات الدول التي تمثلها في التدخل في شؤون الطوائف الدينية ، ومحاولة استمالتها الى جانبها عندما بدأت تنفيذ مخططاتها بالمنطقة وفي العراق بصورة خاصة ، وادخلت البعض منهم في دائرة الصراع السياسي البريطاني – الفرنسي الذي اشتد في القرن الماضي .

كما جمع المبشرون معلومات مفيدة لبلدانهم عن العراق من خلال اتصالهم بالسكان المحليين ، وهي حالة سمحت لهم بدراسة وضع المجتمع والتعرف عليه ، وخاصة تقاليده والديانات المحلية ، ولا ننسى ان دراساتهم هذه كانت مفعمة بنزعة اوربية ، فجاءت تقاريرهم ايضاً ثمرة نظرة متحيزة لأنهم كانوا يرسمون غالباً النواحي السلبية للمجتمع الذي يتولون دراسته .

ومن الانصاف القول ان للمبشرين الأجانب فضلاً في دعم الحركة الثقافية والخدمات الطبية في الموصل ، ومن خلال نشر الثقافة وجلب اول مطبعة في مدينة الموصل وفتح المدارس والمستوصفات ، ونشر اللغة الفرنسية

بين صفوف اغلب رجال الدين المسيحيين . رغم ان هذه الخدمات لم تكن هي الغاية بل احدى الوسائل المهمة للوصول الى غاياتهم .

مصـــادر البحث

- ابراهيم خليل احمد – الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية مكتبة الوعي العربي القاهرة .
- اغناطيوس يعقوب الثالث البطريرك الكنيسة السريانية الانطاكية الارثذوكسية – دمشق ١٩٧٤ .
- ادي شير تاريخ كلدو أثور – الجزء الثاني – المطبعة الكاثوليكية بيروت – ١٩١٢ .
- اوجين تيسران (الكردينال) – خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية ترجمة بسليمان الصائغ (القس) – الموصل – ١٩٣٩ .
- افرام نقاشة (المطران) عناية الرحمن في هداية السريان – حلب – ١٩١٠ .
- المس بيل – فصول من تاريخ العراق القريب – ترجمة جعفر الخياط ط ١ – بغداد – ١٩٧١ .
- الاب لانزار – مذكرات خطية .
- اسحق ارملة – الطائفة السريانية والقنصلية الفرنسية في بغداد – مجلة المشرق العدد ٢٤ – سنة ١٩٢٦ – بيروت .
- بطرس نصري الكلداني – ذخيرة الاذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان – مطبعة الاباء الدومنيكان – الموصل الجزء الاول والثاني . والثالث (مخطوط) .
- ماتيفيف – المسألة الآشورية اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية .
- ميريلا غاليني – التراث الكردي في مؤلفات الايطاليين – ترجمة د .

يوسف حبي – من مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد – ١٩٨١ .
نيبور – رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ترجمة د . محمود حسين الامين – وزارة الثقافة والارشاد – بغداد .
د . يوسف حبي – الكلدان والملبار في القرن التاسع عشر – مقال منشور في مجلة بين النهرين – العدد – ١٠ – لسنة – ١٩٨٢ .

– Grand Larousse Encyclopedique, Vol – 4 – P. 175.
– Coormach, Fr. Bernard Marie, Histoire De La Mission Dominicaine En Mesopotamie Et En Kurdistan, Rome, 1896.
– Ape, 192, H – 37 – 38.
– Aco2, 182 – 184.
– Apf, 22310 – 313.
– Eden Naby – The Assyrians of Iran, Reunification of a Millat 1966 – 1914 – Mo2 – 1977 Middie East Stud.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٢٢٤ لسنة ١٩٨٥
٢٨/٥٠٠٠ - ١٩٨٥/٧/١

شركة مطبعة الاديب البغدادية المحدودة
هاتف ٧١٨٨٢٨٦ - ٧١٨٨٢٨٧

شركة مطبعة الاديب البغدادية المحدودة
هاتف ٧١٨٨٢٨٦ - ٧١٨٨٢٨٧